كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

# طريق الثورة اليمنية

الدكتور محمد على الشهاري



# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : محمود أمين العالم

العدد ١٨٨ رجب ١٣٨٦ نوفمبر ١٩٦٦
No· 188 Novembre 1966

**مركز الادارة**

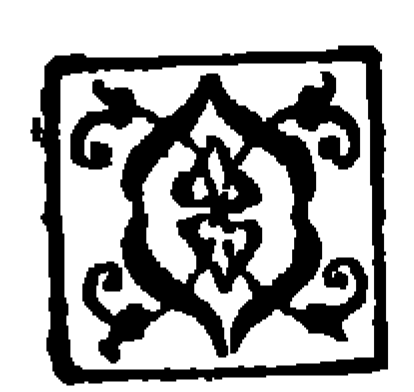
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

**الاشتراكات**

**قيمة الاشتراك السنوى :** (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى — فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا — فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف — فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنة ، ليبيا ( بنغازى وطرابلس ) ١٥٠ مليما ، الجزائر ١٧٥ فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا

# كتاب الهلال



ة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشة
الفنان حسن فؤاد

# طريق
# الثورة اليمنية


بقلم

الدكتور محمد على الشهارى


●


دار الهلال

# تقديم

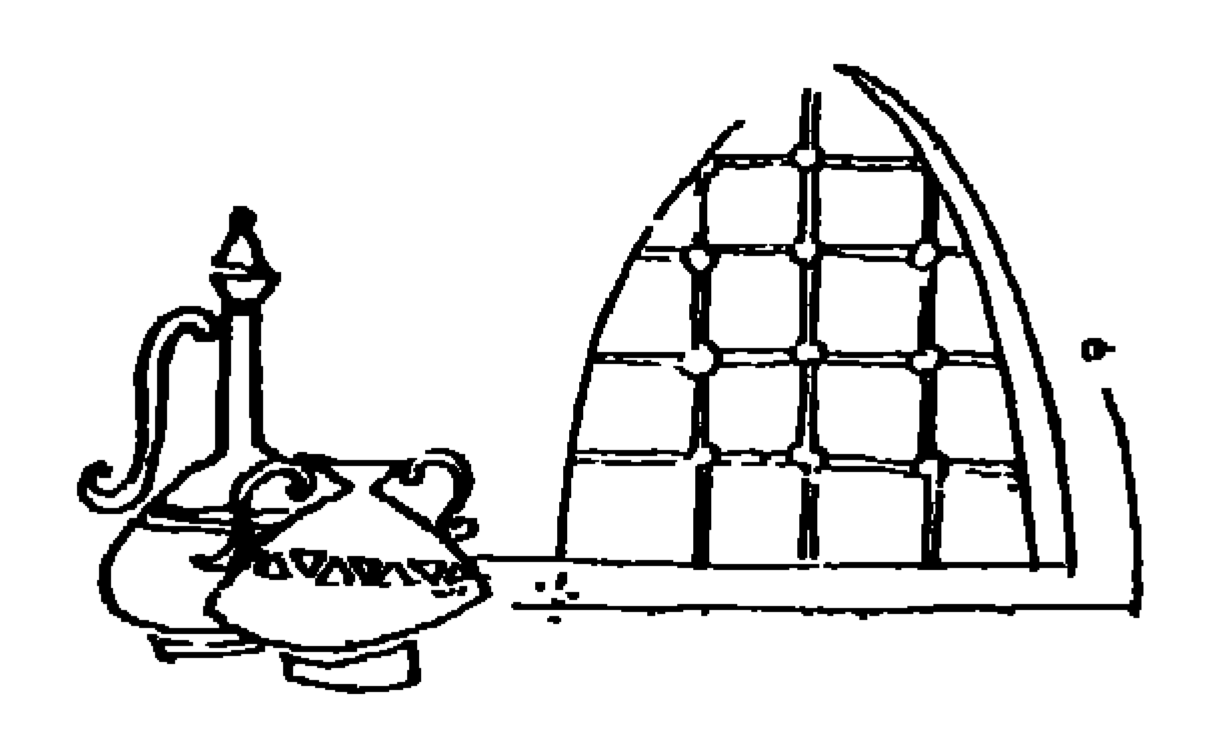
أود فى هذه المقدمة أن أشير الى الاسباب التى دفعتنى الى كتابة هذه الدراسة :

اولها : اقتناعى التام بأن هناك فراغا سياسيا لا حدود له نشأ فى اليمن نتيجة انهيار نظـــام ومذهب الامامة فأصبح من أوجب الواجبات الاتيان ببديل فكرى وبمذهب سياسى علمى وتقدمى يحل محل مذهب الامامةالكهنوتى الرجعى ، ويسد الفراغ الذى تركه ، ويستأصل ماتبقى منه فى اذهان الناس

ثانيها : ان أى ثورة أصيلة وطنية ديمقراطية لهى أحوج ما تكون الى وضع منهــاج ثورى يكشف طريق ســيرها ويقود خطاها ، وينقذها من السير التلقائى والعفوى ومن التخبط العشوائى . فالنظرية الثورية هى دليل العمل الثورى ، والثورات الوطنية الاصيلة ليس من طبيعتهــا أن تخفى عن الشعب أهدافها بحجج دبلوماسية أو خوفا من الرجعية الداخلية والاستعمار . فالشعب صــاحب المصلحة فى الثورة عندما يعى اهداف الثورة يستطيــع حمايتها . ان الدول العربية المتحررة تسير اليوم على هدى مواثيق وطنية التف من حولها الشعب ، وانا اعتقد

عن اقتناع تام ان ما حدث فى اليمن ثورة وان هذه الثورة تتطلب رسم طريقها وشرح اهـدافها ، تتطلب منهاجا وطنيا ..

ثالثها : اننى لا أقصد من تقديم هذه الدراسة الا حفز العناصر الوطنية والثوريةداخل الجهاز الحكوميوخارجه الى التفكير والمبادرة فى وضع منهاج للثورة ، فأنا لا ادعى ان هذه الدراسة التى أقدمها تشكل منهاجا وطنيـــا متكامل الملامح والتفاصيل ولكنى أستطيع القـول : انهـا تعكس الطبيعة الموضوعية ، الاجتماعية والتاريخيةللثورة اليمنية ، وتعبر عن الاتجاه الثورى والحقوق المشروعـة لكل قوى الشعب العاملة والوطنيـــة ذات المصلحة فى الثورة ، من ضباط ثوريين ، وتجار ثوريين ، ومثقفين ثوريين ، ومن عمال وفلاحين كادحين . ومع ذلك فانى قد سميت هذا العمل « طريق الثورة اليمنية » كمحاولة لرسم اتجاه الثورة اليمنية التاريخى الذى تمليه ظروفها الموضوعية ، وكدعوة الى ضرورة وضـــع منهاج وطنى ثورى للجمهورية العربية اليمنية



# مدخل تاريخي

ليس من باب الصدفة ولا مما يدخل فى قائمة الظواهر الغريبة أن تتعرض اليمن اليوم بعد اندلاع ثورتها الوطنية المجيدة لكل هذا الحشد الرجعي الاستعماري الذى يحيط بها منذ أربع سنوات ، وأن تخوض خلال هذه السنوات غمار معركة وطنية لاهبة ضده ، استثارت .. وما تزال تستثير اهتمام العالم كله ، فموقع اليمن الاستراتيجى والجغرافى الفريد ، وخصوبة أرضها وطبيعتها ، ومركزها الحضارى الذى تبوأته بين حضارات العالم القديم كانت وما تزال من العوامل الرئيسية التى اغرت القوى الطامعة فيها وحركت وما تزال تحرك نوازعها اليها

وخريطة اليمن الجغرافية والطبيعية التى عرفت بها اليمن والتى أجمع عليها المؤرخون والجغرافيون العرب والاجانب منذ العهد الرومانى الى العهد التركى تمتد من عمان وعدن فى الشرق والجنوب الى الحدود الجنوبية لنجد والحجاز فى الشمال ، وتشكل عسير ونجران أطرافها الشمالية ، وضمن حدودها يدخل ميناءا الليث والقنفذة

على البحر الاحمر من جهة الشمال

وكما يتمسك اليمنيون .. الى اليوم .. بحدود بلادهم الجغرافية ويرون فيها اطارا تاريخيا لشخصيتهم الوطنية عبر التاريخ فانهم ينظرون باعتزاز وفخر الى حضارتهم القديمة اللامعة والمجيدة . فهنا على الارض العربية السعيدة نشأت وتطورت فى وقت تاريخى مبكر دول ومؤسسات .. دول حسنة التنظيم، كمملكة معين، وسبأ، وقتبان وحمير ، كما نهضت حضارة عالية معتمدة على مؤسسات للرى مستحدثة كسد مأرب الذى يعد أعجوبة من أعاجيب العهد القديم ، وغيره من السدود العديدة والعظيمة ، ومعتمدة على زراعة جيدة . ويمكن البحث عن أسباب ازدهار هذه الدول الحضارية سواء فى مستوى التطور العالى للزراعة القائمة على الرى المنتظم او فى موقع اليمن المركزى بالنسبة لطرق التجارة العالمية فى التاريخ القديم . فبجانب الانتاج الخاص الذى كانت تصدره اليمن فقد كان تجارها يتعاطون تجارة ترانزيت هائلة ، فمن بين ايدى اليمنيين كانت تخرج تقريبا كل البضائع مابين الهند ، والشرق الاقصى ، والسواحل الافريقية ، والشرق الاوسط ، ومنطقة البحر المتوسط . ولقد كان اليمنيون يعتبرون سادة الطرق البرية والبحرية مابين المحيط الهندى ، والخليج العربى، والبحر الاحمر . ولهذه الاسباب فقد كانت الحضارة اليمنية القديمة احدى الحضارات العالية التطور فى العصر القديم ..

ومنذ هذا الوقت المبكر أثارت الاهمية العالمية للجنوب العربى ، وسطوع الحضارة اليمنية ، وثروة اليمن الخضراء

انتباه ومطامع دول التوسع الاجنبية . ولقد حاولت اخضاع اليمن لنفوذها لتتمكن من السيطرة على الطريق التجارى الى الهند ، ومن الاستقرار على ساحل الخليج العربى . ولقد فشلت الحملة البحرية التى جردها الاسكندر المقدونى على اليمن بقصد اخضاعها ، الا انه مع اقامة حكم البطالسة فى مصر وعلى شرق البحر الابيض المتوسط فى القرن الثالث قبل الميلاد كسر احتكار التجار السبأيين للتجارة ، وسقطت التجارة السبأية مع ذلك، وهاجر الكثير من اليمنيين الى خارج بلادهم ، ولقد كانت تلك هى الضربة الاولى التى مهدت لانهيار الحضارة اليمنية القديمة ، اذ انه بعد ذلك وقعت طرق التجارة اليمنية تحت اشراف الرومان الذين احتلوا مصر فى عام ٣٠ قبل الميلاد . وعلى الرغم من فشل حملة ايليوس جالوس لاحتلال اليمن فان الرومان قدتمكنوا منذ عام ٢٤ ميلادية من تثبيت أقدامهم فى عدن بينما اندفعت سفنهم التجارية عبر البحر الاحمر الى المحيط الهندى . وفى عام ٥٢٥ ميلادية احتلت حملة أثيوبية قوية اليمن ، واسقطت الدولة الحميرية الاخيرة . وخلال الحكم الحبشى الذى استمر الى عام ٥٧٥ ميلادية تهدم سد مأرب ، وانهارت معالم الحضارة اليمنية ، وبدات مرحلة ركود التطور بالنسبة للقوى الانتاجية فى البلاد

ومنذ ذلك الحين تدفقت على اليمن عدة موجات من الغزو . وفى عام ٥٧٥ وقعت البلاد تحت الحكم الفارسى، الا انه بعد وقت قصير اعتنق اليمنيون الاسلام طواعية لانهم رأوا فيه فرصة للتحرر من الحكم الفارسى

الا ان اعتناق اليمنيين للاسلام لم يساعد على احلال السلام والاستقرار فى بلادهم . فاليمنيون الذين خلفوا

وراءهم حضارة عالية التطور لم يرغبوا فى أن يحكموا من شمال الجزيرة وهو الجزء الذى لم يبلغ شأو بلادهم فى سلم الحضارة والتطور الاجتماعى ، وابوا الخضوع للخلفاء المسلمين من قريش ، وظلوا يكافحون حتى حصلوا على استقلالهم الذاتى

وكانت صلة اليمن بالخلافة شكلية تقريبا . وغالبا ما كانت دول اليمن فيما بعد تتمتع باستقلال كامل عن الخلافة فى ادارة شئونها

الا ان الاستقلال عن الخلافة لم يساعد على قيام دولة يمنية موحدة على كل أرض اليمن الا فى فترات متقطعة واستثنائية . وكانت الظاهرة المسيطرة والمميزة لتاريخ اليمن منذ أن استقل آل زياد بحكم اليمن استقلالا ذاتيا عام ٨١٩ م أيام الخليفة العباسى المأمون هى ظاهرة التمزق الاقطاعى ، والصراع الطائفى ، والنزاع المذهبى ، ولقد ظلت هذه الظاهرة قائمة حتى القرن العشرين . وكانت الدويلات اليمنية التى نشأت منذ هذا التاريخ نتاج صراع مرير وطويل بين أمراء الاقطاع والطوائف والمذاهب المختلفة . واصطبغ تاريخ اليمن خلال هذه الحقبة الوسيطة من التاريخ بصبغة دموية قانية . واثناء هذه الحقبة الطويلة والمظلمة ازدادت قوى الانتاج تدهورا وانحطاطا ، وقل الانتاج الزراعى ، وطمست الرمال أراضى كانت صالحة للزراعة ، واختفت بعض المهن الحرفية ، ومما زاد الامر تفاقما الحروب التى دارت بين اليمنيين وبين حكام المماليك والايوبيين

ومع ظهور العصر الحديث أصبحت اليمن من جديد بسبب وضعها الجغرافى المتميز هدفا مقصودا لحملات التوسع الاستعمارية للبرتغاليين ، والهولنديين ،

والفرنسيين ، والاتراك ، والانجليز . وقد تميـــز تاريخ اليمن فى العصر الحديث بأنه كان تاريخ كفاح مرير ومتصل ضد هؤلاء الفزاة . ولقد كان أخطر وأشرس أعداء اليمن الخارجيين هم البريطانيون ، والاتراك العثمانيون

ولقد استمر صراع بريطانيا الاستعمارية من أجـــل السيطرة على شواطىء اليمن الجنوبية ٣٠٠ عام . وقد بدأ فى ارتباط تام مع محاولاتها الاولى لبسط نفـوذها على الهند فى بداية القرن السابع عشر

وكان هناك عاملان رئيسيــــان وراء مطامع بريطانيـا التوسعية وهما الوضع الجغرافى ، والعســـكرى الخاص لجنوب اليمن كهمـــزة وصل بين بلدان البحــر الابيض المتوسط والبحر الاحمر ، والمحيط الهنـــدى ، وكذلك الارباح الطائلة التى كان يبشر بها البن اليمنى ، بن المخـاء

وكان ميناء تصدير البن المخاء ، وميناء عدن الهدفين الاستراتيجيين اللذين سعت وراءهمابجشعأطماعالتوسع البريطانية . الا ان بريطانيا لم تستطع تحقيق مطامعها هذه خلال قرنين كاملين وبالذات نتيجة للمنافسة الفرنسية الجادة . .

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاســـع عشر بدأت مرحلة جديدة من سياسة بريطانيا ازاء جنوب اليمن ، فلقد دفعت الثـورة الصناعيـــة البورجـوازية البريطانية الى الاستيلاء على أقاليم جديدة ، وافتتـــاح أسواق جديدة لفيض بضائعها التى انتجتها الصنـــاعة الرأسمالية . وكانت الهند هى الموقع الرئيسى للاستغلال البريطانى ، فبثرواتها أمكن أن تنطلق الثورة الصناعية فى بريطانيا بحجم كبير كما حق عليها آن تصبح المورد الهام للقطن الى مصـــانع النسيج البريطانيـــة . وازاء هذه

المشاريع البعيدة للبورجوازية البريطانية اكتسب ساحل جنوب اليمن اهمية فائقة بسبب وضعه الجغرافى الوسيط وكمحطة ترانزيت للبضائع البريطانية ، وقبل كل شيء لصلاحيته كقاعدة بحرية للاسطول البريطانى لحماية الهند ، ولا سيما بعد أن أصبحت حملة نابليون بونابرت تهدد جديا المكانة المتميزة لبريطانيا سواء فى البحر الاحمر أو المحيط الهندى . وتصديا للحملة الفرنسية الى مصر أسرعت بريطانيا الى ارسال أسطول حربى عام ١٧٩٩ الى البحر الاحمر لاحتلال جزيرة بريم اليمنية التى تقع فى منتصف باب المندب ، وأعلنت قائد الاسطول «كوميسارا سياسيا للبحر الاحمر» . وفى غمرة الصراع العنيف والملاهب على سواحل اليمن الجنوبية تمكنت عام ١٨٠٢ من عقد اتفاقية مع سلطان لحج حصلت بمقتضاها على امتيازات تجارية ، وبواسطتها أمكن لها وضع اقدامها على عدن . وقد شكلت هذه الاتفاقية حجر الزاوية لبناء وتوسيع النفوذ والمكانة البريطانية على طريق الهند وبعد ست سنوات فقط من توقيع الاتفاقية أشار اللورد فالنسا الى أهمية عدن بأنها « جبل طارق الشرق » . وعندما عزمت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا ابتداء من عام ١٨٣٣ على احتلال كل السواحل اليمنية أدركت بريطانيا أن مصالحها تواجه تهديدا خطيرا . ولقد عبر عن هذه المخاوف رئيس وزراء بريطانيا حينذاك اللورد بالمرستون حين قال : « اننا لا نرى سببا يبرر احلال ملك عربى محل تركيا فى السيطرة على طريق الهند » . ونظرا لان مصالح بريطانيا وتركيا كانت متفقة فى هذا الوقت حيث أن سلطة محمد على باشا أخذت تنتقص من

نفوذهما معا فقد أتيح لبريطانيا أن تحصل على فرمان من الباب العالى الذى كان يدعى تبعيــــة اليمن الشرعية له يعطيها حق استعمال ميناء عدن فى خدمة أســـطولها البحرى . غير أن هذا الفرمان لم يكن كافيا لتحقيـــق مطامعها التوسعية الاستعمارية فى عدن حيث ان الميناء كان تابعا عمليا لسلطان لحج . ولم تلبث ان أعلنت نواياها العدوانية ازاء عدن بصراحة ودون مواربة ، وقد عبر عن ذلك بجلاء حاكم بومباى البريطانى السير روبرت جراند: « ان تأسيس خطوطنا البحرية فى البحر الاحمر ، وتكوين أسطول صغير من البواخر المسلحة تجعل من الضرورى ايجاد محطة تابعة لنا على ساحل بلاد العرب كمـــا هى الحال فى الخليج الفارسى ، ثم ان الاهانة التى ألحقهــا سلطان عدن بنا تجعلنى لا أشك لحظة فى شدة حاجتنا الى امتلاك عدن » ـ وهو يقصد بالاهانة نهب سفينة هنـدية جنحت قرب ميناء عدن

وهكذا سقطت عدن فى يد الكابتن هنس فى ١٩ ينــاير عام ١٨٣٩ بعد مقاومة مستميتة من قبل سكانها اليمنيين الذين كانت تنقصهم وسائل الدفاع عنها . وفى العام التالى انسحب الجيش المصرى من اليمن تحت ضغط بريطانيــا وحلفائها . وبذلك انتفى خطر أن يقوم الجيش المصرى بعمل مضاد ضد بريطانيا فى الجنوب العربى ، وأصبحت السلطة الاستعمارية تملك يدا حرة فى هذا الجزء الهام من بلاد العرب . وبعد قليل من احتلال عدن اكتشف جنود الرأسمالية الاستعمارية أن احتلال عدن لن يكون بمثـــابة نزهة مريحة ، ففى وجههم اشتعلت مقاومة عنيدة قامت بها قبائل المنطقة ولم تتوقف الا عام ١٨٤٩ . واذا كانت هذه المقاومة قد انتهت بالفشل نتيجة اسلحتها الرديئــة فقد أثبتت قبائل الجنوب اليمنيــة بكفاحها الباســـل

ضد السلطة الاستعمارية المعتدية مدى تعلق الشعب بارادته الحرة المستقلة

وبعد استتباب الامر لها أعلنت بريطانيا عام ١٨٥٠ عدن ـ نقطة الارتكاز الطبيعية والفريدة للمحيط العربي ـ الافريقي ـ الاسيوى ـ الهندى ـ ميناء حرا . ولقد ازدادت اهمية هذا الاجراء اكثر بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، وبينما جلب تطور وضع عدن هذا فوائد عظيمة للتجارة العالمية وللبورجوازية البريطانية فانه قد أثر تأثيرا بالغا على اقتصاد اليمن . لقد بدأ ميناء عدن يجتذب كل المواصلات من الارض الخلفية اليه . وفقد ميناء المخاء أهميته كميناء للتصدير ، ومحطة ترانزيت وطمسته الرمال ، وتراجعت التجارة فى ميناء الحديدة خطوات بعيدة الى الوراء ، وأصبحت عدن فى المقدمة

ولتأمين قاعدة الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن وخلق منطقة عازلة بينها وبين القبائل سعت بريطانيا بالضغط والاغراء الى شراء المنطقة المحيطة بعدن من جهة الشمال ، وبذلك أقامت من حول ميناء وقاعدة عدن حلقة واقية ، وحمتها ضد أى هجمات محتملة تأتى عن طريق البر والبحر من قبل قبائل اليمن الجنوبية أو من الاتراك أو أى قوة اخرى

ان تركيا التى لم ترفع دعوى السيادة الشرعية عن اليمن رغم ان جيوشها قد طردت منها عام ١٦٣٨ بعد حوالى مائة عام من الاحتلال ادركت الان وبعد انسحاب الجيش المصرى من اليمن ان مطامع بريطانيا ومثلها مطامع أوساط تجارية ايطالية تتجه لاحتلال موقع لها فى المنطقة الساحلية من تهامة اليمن . من هنا فانها قد بادرت الى ارسال حملة عسكرية عن طريق الحجاز بقيادة

توفيق باشا استولت بها على تهامة اليمن

وكما ضاعف افتتاح قناة السويس من أهميـة اليمن لديها فانه قد سهل لها ارسال حملات عسكرية لاخضاعها نهائيا . وفى عام ١٨٧٢ تمكن الغـزاة الاتراك من بسط سلطانهم على صنعاء وعلى الهضبة الوسطى من اليمن من عسير الى تعز . وللحفاظ على سلطتهـا الاستبـدادية والاستعمارية خصت اليمن بجيش كامل هـو الجيش السابع ، وسنت نظاما للضرائب فى غاية القسوة والشراسة، واقامت ادارة ذات طابع عسكرى حاد أرهبت بها حيـاة الناس . وفى وقت قصير نهبت ثروات اليمن ، وسـاءت حياة الفلاحين اكثر فأكثر وكما لم يحدث من قبل نتيجة مصادرة أقواتهم بالقوة لتموين جيش الاحتلال التـركى وعمت كل فئات المجتمع حالة من السخط العام والجارف ازاء اجراءات التعسف والقهر العثمانى

وما كادت سلطات الاحتلال التركية تستقر فى صنعاء حتى رفعت مطالبها فى السيادة على جنوب اليمن بمافى ذلك عدن . وعدا سلطان لحج الذى أصبح العميل الاكبـر للاستعمار البريطانى فى الجنوب فان جميع سلاطين ومشايخ المنطقة كانوا مستعدين للوقوف الى جانب الاتراك ضـد القوات البريطانية

وقد سهل هذا الوضع الملائم للاتراك أن يندفعـوا عام ١٨٧٢ صوب لحج ويبلغوا عاصمتها الحوطة وفجأة توقف الهجـوم التـركى دون أبواب عدن . ان السبب فى ذلك لا يعود الى الهجوم المضـاد الذى قام به ٣٥٠ جنـديا بريطانيا ، وانما يعود اكثر الى التناقضات الداخلية التى كانت تهز المملكة العثمانية حتى النخاع ، والى النفـوذ المتصاعد للقوى الكبرى الرأسمالية داخل القسطنطينية،

وازاء تضعضع احوالها الداخلية لم تسمح تركيا لنفسها بأن تدخل فى كفاح مسلح حاسم مع انجلترا من أجل جنوب اليمن ، واكتفت لذلك بمركزها الذى حصلت عليه فى شمال اليمن

وبعد أن اضطرت تركيا الى سحب قواتها الى الشمال سعت بريطانيا الى القضاء على دعاواها السياسية فى الجنوب . ولهذا الغرض دعا المقيم البريطانى سلاطين وامراء ومشايخ المنطقة الى عدن ، واطلق لهم مدافع التحية ، وقدم لهم الهدايا ، ووعدهم بمساعدات شهرية ، ومساعدات مالية سنوية ، وضيافات فى عدن مع كل زيارة لها ، ومقابل ذلك قيدهم « بمعاهدات الحماية » ! بهذه الطريقة الخبيثة للتوسع غير المباشر والتى لم تخل من الخديعة والضغط حققت بريطانيا انتصارها السريع ووسعت نطاق نفوذها على جنوب اليمن كله . وقد عقدت أول معاهدة حماية مع جزيرة سقطرة عام ١٨٨٦ . وحتى عام ١٩٠٣ وجدت سلطنات وامارات ومشيخات جنوب اليمن نفسها تحت سلطة « الحماية البريطانية »

وبعد مفاوضات متقطعة وطويلة مع السلطات التركية فى اليمن تمكنت بريطانيا الاستعمارية عام ١٩٠٥ بمقتضى بروتوكول خاص مع الاتراك من تحديد خط الحدود بين منطقة النفوذ البريطانى والعثمانى . وحسب هذا الاتفاق فان خط الحدود يمتد من الساحل الجنوبى لجزيرة الشيخ السعيد قرب باب المندب الى وادى بنا شرقى مدينة قعطبة ، وبذلك تكون تركيا قد تنازلت عن النواحى التسع اليمنية ــ اى المحميات الغربية ــ لصالح بريطانيا . وما لبث « الرجل المريض » الذى أضعفته أكثر حروب البلقان والانتفاضات الوطنية فى شمال اليمن ان تنازل عام ١٩١٤

عن كل مطالبه وحقوقه فى حضرموت . بذلك تمكنت سلطات الاستعمار البريطانى فى عدن من بسط وتدعيم نفوذها على جميع انحاء جنوب اليمن « حضرموت والنواحى التسع » بينما كان شمال اليمن ما يزال واقعا تحت نير الاحتلال التركى للمملكة العثمانية ..

غير ان الشعب اليمنى الذى تعلم كيف يذيقها الهزائم ، ويحيل اليمن الى شعلة من اللهب لا يطفىء الاتراك جانبا منها حتى يتوهج الجانب الاخر فى حركة نضالية مستمرة ودؤبة مالبث أن هب فى وجه الاحتلال التركى غداة احتلاله صنعاء . ولقد بدأت كفاح التحرير قبائل الجبل الزيدية التى لم تعترف للسلطان العثمانى قط بحق السيادة عليها ، ولم تصدق دعاواه فى انه «حامى حمى الحرمين » وخليفة الاسلام والمدافع عنه . وحتى عام ١٩٠٤ تمكنت القوات التركية بفضل النجدات التركية المتتابعة من اخضاع كل التحركات التى تصدت لها . الا ان حركة « الجهاد » عرفت فى هذا العام صعودا وانطلاقا لم تبلغ مداه من قبل وخلال هذه الانتفاضة الواسعة الحاسمة دحر الاتراك من جميع مواقعهم تقريبا ، واحتل المحاربون اليمنيون صنعاء . وفى شهاره لقى جيش الاحتلال التركى هزيمة منكرة لم يسبق لها مثيل ، وفقد الاتراك خلالها خمسين لواء حربيا . ولقد كان هذا النصر العظيم لحركة التحرير اليمنية نقطة تحول بعيدة المدى . أثرت ليس فقط على وضع الامبراطورية العثمانية داخل اليمن ، وانما اثرت ايضا على المشاريع التوسعية لحليفتها الاستعمارية المانيا القيصرية ..

فبينما كانت بريطانيا من عدن وفرنسا من جيبوتى

وكذلك أيطاليا من ارتريا تتابع هزائم الاتراك برضـــا ، على الاقل لانها ـ ولو الى حد معين ـ تشكل شرطا ملائما للسير فى تحقيق مطامعها التوسعية الخاصة فان الامبريالية الالمانية على عكس ذلك كانت تدعم تركيا وتدرب جيشها وحملاتها المتجددة التى كانت تقذف بها الى اليمن . ذلك لان تركيا كانت قد اخذت تتحول الى شبه مستعمرة المانية سواء من الناحية الاقتصادية او العسكرية ، ولان المـانيا كانت تهيء نفسها لان تكون الوريث الشرعى والوحيـــد « للرجل المريض » فى البسفور

لذلك وانسجاما مع « سياسة خط حـديد بغـداد » ، « وسياسة الاندفاع نحو الشرق » فقد كانت اليمن احدى مجالات التوسع الهامة بالنسبة لالمانيا . ومن خلال دعمها وتعـــاونها مع المحتلين الاتراك كانت تأمل المانيا فى فرض مشاريعها التوسعية الخاصة فى اليمن

ومقابل الطلب الذى تقدم به الباب العالى بأن يقوم « بنك ألمانيا » بانشاء خط حديدى من الحديدة الى صنعاء لتسهيل سرعة مرور الحملات التركية الى الهضبة طلبت المانيا القيصرية السماح لها باقامة قاعدة بحرية لاسطولها فى الحديدة أو المخاء ، ومحطة فحم للتموين من أجل اقامة المشروع « ولتنظيم علاقاتنا بشرق آسيا »

غير أن كفاح التحرير المظفر للشعب اليمنى ، وبالذات خلال عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ، قد أحبط مشاريع المانيـا التوسعية فى اليمن ، وكبح من جماح أحلامها الاستعمارية التوسعية وان لم يضطرها الى التخلى عنها نهائيا

وكما هبت طائفة الزيديين الى الكفاح ضـد الاحتلال التركي فقد تبعتها اليه طائفة الشوافع . فمن عسـير وتهامة انطلقت عام ١٩١١ موجة جديدة من الكفـــاح

التحررى قام بهاالشوافع بقيادة محمد على الأدريسى ؛ وبلغت من عنفها واندفاعها أن عاصمة عسير « ابها » ذات الموقع الحصين أصبحت تحت رحمة المحاربين اليمنيين الذين طوقوها من كل جانب وعزلوها عن كل مدد .. وفى نفس الوقت كانت صنعاء تعانى حصارا شديدا ضربته من حولها قبائل الزيدية فور قيامها بأنتفاضة عامة شملت الهضبة كلها . ان تنسيق الكفاح بين الطائفتين الرئيسيتين فى اليمن ،وشنهما معا كفاحا مسلحا مشتركا ضد الاحتلال التركى قد سجل فى الواقع درجة عالية من الكفاح الثورى للشعب اليمنى من اجل انتزاع حريته واستقلاله وللقضاء النهائى على الاضطهاد الاستعمارى للامبراطورية العثمانية

ولقد برهنت الانتصارات العسكرية العديدة التى حققتها الحركة الانتفاضية الشاملة للشعب اليمنى بطائفتيه على ان تحطيم الحكم التركى واقامة دولة يمنية موحدة مستقلة على انقاضه كان من الناحية الموضوعية أمرا ممكنا فى هذا الوقت . غير أن طموح محمد على الادريسى الى اقامة امارة خاصة به فى جزء من اليمن قد أدى الى تصدع جبهة الكفاح الموحد ، وحال دون الوصول الى النصر النهائى . هكذا انكسرت حدة الكفاح الثورى ، وتراجعت أمواجه ، وكما ذهب الامام يحيى عام ١٩١١ الى « دعان » لعقد اتفاقية مع الاتراك اكتفى فيها باعطائه الاستقلال الذاتى على شمال شرق اليمن استند محمد على الادريسى على الاستعمار الايطالى الذى كان يرى فى تهامة اليمن « الارض الخلفية » لمستعمرته أرتيريا . وبمساعدته وتدخله العسكرى المباشر تمكن الادريسى عام ١٩١٢ من اقامة اساس لأمارته فى منطقة صبيا ـ أبو عريش بعسير تهامه

أن استقراء تاريخ اليمن الحديث وبالذات منذ الربع الاخير للقرن التاسع عشر الى ثلاثينيات القرن العشرين يكشف بقوة ان اتجاه التطور التاريخى والكفاح المستمر الشعب اليمنى ضد اعدائه الداخليين والخارجيين كان منصبا من الناحية الموضوعية على غاية رئيسية ، الا وهى: القضاء على الحكم التركى ، الدفاع ضد الاستعمار البريطانى ، وضد حلفائه من سلاطين وأمراء الجزيرة العربية ، التغلب على التمزق الاقطاعى وعلى بقايا المجتمع العشائرى ، وخلق دولة يمنية موحدة مستقلة : ولقد كانت هذه العملية التاريخية منسجمة مع تيار التطور العام داخل الوطن العربى وخارجه ، وذات دلالة تاريخية وتقدمية كبرى

غير أن حركة التطور التاريخى الموضوعية لا تسير عادة فى خط مستقيم ، وانما قد تتعرج وتأخذ انحناءات عدة فى كثير من الاحيان ، وقد تتعثر وتصيبها النكسات أحيانا أخرى ، ولكنها رغم ذلك ومن خلال ذلك تتحرك باستمرار ولو ببطء شديد نحو غايتها الموضوعية . ان هذه الحقيقة العلمية تنطبق أيضا على حركة التاريخ اليمنى الحديث ..

ولقد اظهرت الحرب العالمية الاولى بقوة وجلاء الاهمية الخاصة لليمن بالنسبة للمجموعتين الامبرياليتين المتصارعتين ، وقد كانت أهداف الحلفاء الحربية هى تحطيم المملكة العثمانية وتحويل اقاليمها غير التركية الى مناطق استعمارية تابعة لبريطانيا وفرنسا وايطاليا . وقد أكدت بريطانيا العظمى « أحقيتها الخاصة » فى التسلط ليس على جنوب اليمن فحسب ، وانما على شماله أيضا .. وعزمت الامبريالية الايطالية على اعطاء خط توسعها

التقليدى فى البحر الاحمر قاعدة على الساحل الغربى لليمن ، كما أن فرنسا كانت مهتمة بتحقيق مطالبها القديمة على جزيرة الشيخ سعيد بجوار باب المندب . غير أن أهداف ألمانيا الحربية فى هذه المنطقة كانت أوسع من ذلك بكثير ، فاستمرارا ثابتا لسياسة خط حديد بغداد والاندفاع نحو الشرق كانت القوى العسكرية والاحتكارية الالمانية تنوى اخضاع جميع أراضي الامبراطورية العثمانية بما فى ذلك اليمن لديكتاتوريتها الرأسمالية

لهذا السبب فقد أيدت العسكرية الالمانية مشروع الهجوم التركى لانتزاع عدن من الانجليز والقضاء على مركزهم المتميز فى جنوب اليمن باعتبار أن السيطرة على عدن تتيح امكانية التحكم فى البحر الاحمر والمحيط الهندى وقطع خط الاتصال بين الهند ، واستراليا ، وجميع مستعمرات بريطانيا الاخرى وتمكن من الزحف بحرا الى قناة السويس فى الشمال وفى اتجاه الساحل الافريقى ، للبحر الاحمر

غير أن الهجوم التركى أوقف بفضل نجدة عسكرية من قناة السويس ـ فى منطقة الشيخ عثمان قبل الوصول الى عدن ، وتراجع الى لحج حيث رابطت القوات التركية الى نهاية الحرب . وأدركت المانيا وتركيا أن بلوغ عدن يتطلب قوى كبيرة . وفورا أعد مشروع هجوم تركى ـ المانى على عدن تقوم به حملة تركية مصحوبة ببعثة المانية مجهزة باللاسلكى . الا أن هذه الحملة التى تحركت من فلسطين على الخط الحديدى الحجازى ما كادت تبلغ المدينة حتى عاجلها الشريف حسين الذى استحثته بريطانيا لبدء الانتفاضة وحاصرتها قواته هناك . وبفشل هذه الحملة فشلت

كل محاولات تهديد عدن عن طريق اقامة قاعدة غواصات المانية بجوار الساحل اليمنى ، وتلغيم باب المندب بواسطة بواخر المانية ، وبقيت عدن تحت سيطرة الانجليز ..

لم يكن انهيار المملكة العثمانية والحكم الاستعمارى التركى بفعل الضربات المدمرة لقوى الحلفاء الامبرياليين فقط ، وانما بالدرجة الاولى نتاج التركيب الاقتصادى والاجتماعى القديم والمهلهل للمملكة العثمانية ، ونتاج الضعف الذى كان قد لحق بها بفعل حركات التحرر والمقاومة للحكم التركى داخل اليمن وفى الجزيرة العربية وغيرهما من الاقاليم الى حد أن التأييد الفعال لهما من قبل المانيا لم يحل دون انهيارها وتمزقها . وبانهيارها انهارت أيضا مشاريع المانيا التوسعية فى اليمن وفى غيرها من مناطق المملكة العثمانية

ومع نهاية الحرب احتلت القوات الانجليزية الحديدة، ومكنت حليفها الادريسى ، الذى كان قد عقد معها خلال الحرب معاهدتى حماية وصداقة ، من توسيع امارته حتى بلغت حدودها ميناء القنفذة شمالا وميناء اللحية جنوبا ، وما لبثت أن سلمته عام ١٩٢١ ميناء الحديدة فى محاولة منها لمنع قيام دولة يمنية موحدة مستقلة على ارض ولاية اليمن التركية سابقا . غير أن جهود بريطانيا المستمرة فى الحفاظ على امارة الادارسة لم تستطع ان تقاوم حركة التوحيد اليمنية . وبموت مؤسس الامارة عام ١٩٢٣ ، ونشوب النزاع على العرش بين العائلة الادريسية سنحت الفرصة التاريخية لاكتساح الامارة الادريسية ، فخلال عام ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ صفى الجيش اليمنى حكم الادارسة من تهامة اليمن الجنوبية ابتداء من باجل والحديدة

فى الجنوب الى ميدى وحرض فى الشمال وحصرهم داخل عسير تهامة . وبهذا العمل التـــاريخى أخذت الدولة اليمنية ، ليس فقط امتدادها الضرورى الطبيعى والجغرافى فى اتجاه البحر الاحمر ، وانما أخذت أيضا شكلها الاقليمى الحالى . وكما كان انتزاع الجزء الجنـــوبى والهام من الامارة الادريسية ضربة حاسمة للاستعمار البريطـــانى فقد كان بمثابة خيبة أمل قاتلة لاحلام ابن ســـعود التوسعية تجاه اليمن . ان الكفاح التاريخى للشعب اليمنى من اجل اقامة قاعدة اقليمية ، وأرضية واسعة لدولتــه اليمنية قد اصطدم عام ١٩٢٦ وجها لوجــه مع عدوين قويين وخطيرين هما بريطانيا العظمى وحليفها ابن سعود

فلقد أدركت سلطات الاحتلال البريطانى فى هذا العــام خطورة هذه العملية التاريخية ولجأت حالا الى استخدام القوة المسلحة وبشكل مركز ، ودحرت الحاميات اليمنية من بعض المناطق التى كانت قد انتزعتها منها فى جنوب اليمن المحتل ، وأوقفت تقدم الجيش اليمنى نهائيـــا ، وفى نفس الوقت شجعت ابن سعود على التصـــــدى للجيش اليمنى وايقاف تقدمه صوب عسير

***

وتمتد مطامع الوهابيين التوسعية فى اليمن الى مطــلع القرن التاسع عشر حيث تمكنوا فى هذا الوقت لفترات متقطعة من احتلال عسير وتهامة اليمن . وقد كانت الامارة الادريسية منذ نشوئها مطمع الوهابيين كما كانت مطمع الشريف حسين . وعندما حاول الاخير تحريك انتفاضة بقيادة أمير عسير السراة الحسن بن عائض ضــد محمد على الادريسى لجأ هذا الى ابن سعود طالبا نجدته . وبذلك جاءت فرصة عبد العزيز آل سعود التى كان ينتظرها ، فبقمعه لحركة ابن عائض وسيطرته على عســـير السراة

يكون قد حصل على المركز الملائم الذى يستطيع منه التحكم فى مجرى الاحداث داخل الجزيرة ، من حيث يستطيع أن يقطع على الامام يحيى امكانية التقدم فى اتجاه عسير ومن حيث يتمكن من عزل ومحاصرة الشريف حسين داخل الحجاز ، وقد كانت عسير السراة بالنسبة له قاعدة الانطلاق للتوسع فى اتجاه تهامة اليمن فى الغرب والزحف نحو الشرق الى نجران وأحد مفاتيح الحجاز

فورا أرسل ابن سعود نجله فيصل ، الملك الحالى ، الى محمد على الادريسى . وفى جيزان عاصمة الامارة عقد الجانبان فى ٣١ أغسطس عام ١٩٢٠ ما أسمى « بمعاهدة الصداقة » ، وبمقتضاها تنازل الادريسى — ربما دون شعور منه بأنه يرتكب خيانة وطنية — عن عسير السراة لسلطان نجد الاقطاعى وعدو اليمن عبد العزيز آل سعود ، كما تنازل عن نجران التى لم يصل نفوذه اليها قط ، بل وتنازل عن منطقتى سحار وبنى جماعة من لواء صعده رغم انهما كانتا تحت الادارة المباشرة للحكومة اليمنية . وكان هدف الادريسى من التصرف فى الاراضى اليمنية التى كان يعتبر غريبا عليها — ذلك لان عائلته الادريسية ليست من أصل يمنى وانما هاجرت الى اليمن من مراكش فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر — هو أن يدفع بابن سعود فى صراع مباشر مع الامام يحيى ، ويوسع النزاع بينه وبين الشريف حسين الذى كان يهدده على الابواب حتى يستطيع هو الخلاص من الكماشة ويستقر على ما تبقى من عرش أمارته

غير ان الحاكم الفعلى لعسير السراه الحسن بن عائض لم يعترف بهذا التنازل ولم يعتبره شرعيا ودخل فى معارك طاحنة ضد حملات الاخضاع السعودية التى استمرت

من مايو عام ١٩٢١ الى النصف الثانى من عام ١٩٢٣ ، والتى كان على رأس احداها الامير فيصل . وسقطت عسير السراة يد ابن سعود ..

وباستيلاء الوهابيين على عسير السراة أصبحت البقية الباقية من الامارة الادريسية تحت تهديدهم المباشر ..

وعندما بلغ الجيش اليمنى خلال عملية التصفية للامارة الادريسية الحدود الجنوبية لعسير تهامة كان ابن سعود قد اتم تصفية الحكم الهاشمى فى الحجاز ، وأصبح بذلك يطوق الإمارة الادريسية من الشرق والشمال ويستعد لبسط نفوذه عليها . وردا على هجوم الجيش اليمني وبتشجيع وحث من بريطانيا ساعد عبد العزيز من جهة على ازاحة على بن محمد الادريسى من عرش الامارة ، وتولية عمه الحسن المعروف بارتباطه اكثر بالبريطانيين ومن جهة أخرى أرسل فصائله لاحتلال ميناء البرك شمال الامارة بينما تقدمت فصائل أخرى فى فبراير عام ١٩٢٦ جهة جيزان ، وصبيا ، وابو عريش لتعمل جنبا الى جنب مع اتباع الادريسى على صد هجوم الجيش اليمنى ، واعادته من ابو عريش داخل عسير الى مركزه الرئيسى فى حرض

وكما أوقفت بريطانيا فى هذا العام زحف الجيش اليمنى فى اتجاه الجنوب أوقف ابن سعود فى نفس الوقت زحفه فى اتجاه الشمال فى تعاون وثيق بين الجانبين لمنع توسيع قاعدة وأرضية الدولة اليمنية . وكما استغل السلطان الوهابى ضعف محمد على الادريسى ففرض عليه توقيع معاهدة تنازل بمقتضاها عن عسير السراة فقد استغل ضعف اخيه الحسن بن على الادريسى وفرض

عليه فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٢٦ توقيع معاهدة تضع أمارته تحت « الحماية » السعودية . وحفاظا على عرشهما المنهار وتمسكا بالسلطة الزائفة قبل الاثنان أن يضعا نفسيهما ويضعا الارض اليمنية معهما تحت تحكم وسيطرة ابن سعود ..

ولتبرير هذه الخطوة اعلن سلطان نجد والحجاز أنه لايقصد منها اكثر من « ابقاء عسير مستقلة كدولة وسط بيننا وبين اليمن لتجنب نشوب الحرب » ولا يريد بها اكثر من أن تكون هناك « فى عسير حكومة يمنية محايدة بين حكومة الامام يحيى وحكومتنا »

غير أن هذا الزعم لم يدم طويلا فما لبث ابن سعود أن تدخل فى الشئون الداخلية للامارة الادريسية حيث عين « مندوبا ساميا » سعوديا اتخذ من جيزان مقرا له ، كما عين أمراء سعوديين على القضوات ، وموظفين منهم للجمارك ، بينما وضع الادريسى الذى لم يعد يملك اكثر من لقب امام وامير عسير فى الظلال . هكذا أخذ عبد العزيز يتصرف فى الامارة الادريسية ليس كحام وانما كمحتل . ولاعطاء هذا الواقع صبغة شرعية أصدر الحاكم الوهابى مرسوما بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠ أعلن فيه أن ادارة اقليم عسير تهامة أصبحت من اختصاصه هو ، وبذلك فقد الادريسى سيادته الاسمية بعد سلطته الشرعية واصبحت عسير تهامة احدى ملحقات نجد والحجاز تحت ادارة أمير سعودى هو فهد بن زعير . وبمقتضى المرسوم الملكى الذى اعلن قيام « المملكة العربية السعودية » بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ أصبحت عسير تهامة مثل عسير السراة جزءا من مملكة الملك عبد العزيز آل سعود

غير ان أهالى عسير اليمنيين لم يذعنوا لهذه الاجراءات التعسفية « فعبد العزيز لم يفتح بلادنا بالسيف حتى نقبل الخضوع له » كما قال فيما بعد الحسن الادريسي الذى لم يتصور فى البداية أن تصل الامور الى هذا الحد وأن يفقد حتى لقبه الدينى . وفى ٤ نوفمبر عام ١٩٣٢ هبت انتفاضة قوية ضد الاحتلال السعودى بقيادة الحسن الادريسي نفسه . وبعد نصف سنة من المقاومة تمكنت الفصائل السعودية من اخضاع حركة انتفاضية بطولية تعد من حلقات الكفاح الثورى للشعب اليمنى ضد محاولات الغزو التوسعية فى أراضيه . ان ما يشد الانتباه بقوة هو موقف الامام يحيى غير المبرر من الانتفاضة

فلقد كانت عسير كلها بسهلها وجبلها مستعدة ، نتيجة الاضطهاد السعودى ، لأن تقف وقفة رجل واحد مع الامام يحيى لو انه اشترك فى حرب تحرير عسير . وكان الادارسة لاول مرة فى تاريخهم مستعدين للعمل معه فى حرب شاملة من أجل انتزاع عسير من قبضة الوهابيين غير أن تردد الامام يحيى وجبنه ألزماه موقف المتفرج « رغم أنها ــ أى الحرب ــ كانت تدور على أرض يمنية » كما قال ابنه الامير أحمد آنذاك ، لقد كان موقف الامام هذا بمثابة مساعدة غير مباشرة لابن سعود للقضاء على هبة عسير الشعبية

وعلى عكس بريطانيا فان ايطاليا منذ البداية لم ترتح الى تغلغل ابن سعود فى عسير ، وكانت علاقة ايطاليا بالادارسة قد بدأت فى القاهرة منذ عام ١٩٠٥ ؛ ففى هذا العام تمت اتصالات مباشرة بين محمد على الادريسي الذى كان مايزال يدرس فى الازهر وبين المفوضية الايطالية ، وخلالها حرض الايطاليون الادريسي

على القيام بعمل ضد الاتراك ووعدوه بالدعم والمساعدة ، وكان غرضهم من ذلك تحقيق مطامعهم الخاصة فى الساحل اليمني ، والقضاء على النفوذ التركى الذى يقف حجر عثرة فى طريقهم . وقد استمرت علاقة ايطاليا بالادريسى قائمة الى ما قبل الحرب العالمية الاولى اذ أنه مع مطلع الحرب أصبح فى جانب الدولة الاقوى،بريطانيا. ورغم أن ايطاليا أرسلت بعثة خاصة الى الحسن بن على الادريسى عام ١٩٢٦ مصحوبة بالهدايا حاولت اقناعه بالتفاهم مع الامام يحيى ، والوقوف ضد محاولة ابن سعود بسط سلطانه عليه الا أن الحسن آثر البقاء فى جبهة أصدقائه البريطانيين والسعوديين

وتعود علاقة ايطاليا بالامام يحيى الى عام ١٩٢٣ . فباستيلاء الفاشيين على السلطة فى ايطاليا أخذوا بحرارة أشد فى متابعة خط سياستهم التقليدية بتوسيع نفوذهم من ساحل البحر الاحمر الغربى الى ساحله الشرقى . ولتحقيق هذا الفرض تظاهروا بالعطف على مطالب الامام فى أن يكون سيد اليمن كلها من عسير الى عدن . وفى عام ١٩٢٦ تمكنوا من عقد معاهدة معه وبالفعل قدموا اسلحة لليمن واقاموا مصنعا للذخيرة فى نفس العام ، ومحطة لاسلكى ، وأرسلوا بعثة طبية وأخذوا يدربون يمنيين على الطيران الحربى والمدنى .. الا انهم مقابل ذلك حصلوا على حق احتكار تجارة البن اليمنى ، وعلى مكانة خاصة فى بيع بضائعهم الى اليمن ، واحتكروا بيع البترول الى اليمن لخمس سنوات وشكلوا لهذا الفرض « الشركة العربية الايطالية » . واشتروا ناسا مهمين فى بلاط الامام . ولم يحصل الايطاليون على فوائد اقتصادية فقط ، وانما أصبح لهم نفوذ معين على الامام . وقد أحدث

هذا النفوذ الايطالي جزعا شديدا في لنـــدن ، وخافت بريطانيا أن تتمكن أيطاليا الفاشية من الحصـول عـلى قاعدة فى باب المندب من حيث تستطيع فى حالة الحرب أن تقطع وتحاصر الطريق البحرى الى الهنــد ، وتهدد مكانة بريطانيا فى خليج عدن والمحيط الهندى . غير انه مالبث أن اتضح ان أيطاليا لا تملك الرغبة أو القـــوة لتصنع من الامام حاكما على اليمن كلها ، وان كل مايهمها هو الحصول على موطىء قدم لها داخل اليمن المستقلة ، وتحقيق أطماعها التوسعية الخاصة فيها خلال منافستها مع بريطانيا

وبعد عامين فقط من توقيع المعاهدة الايطالية واليمنية قررت بريطانيا القيام بهجوم بربرى مضاد ضد الدولة اليمنية ، ووضعت مشروعات لتقسيمها وضم الجـــزء الشافعي منها الى محمياتها فى الجنوب. ففى عام ١٩٢٨ شنت قوى الاستعمار ـ مجردة من الحياء والانسانية ـ هجوما جويا ، وبريا ، وبحريا على اليمن ، وفى الوقت الذى كانت فيه طائراتها تقذف المدن والقرى اليمنية دون تفريق بين الاهداف العسكرية، وغير العسكرية ،تقدمت قواتها التى جندتها عن طريق سلطان لحج ، والتى جمعتها من الهند ، وكينيا ، ومن العراق والخليج العربى فى اتجـاه الشمال ، بينما تقدمت بواخرها فى البحر الاحمر بقصد احتلال الحديدة ، وخلال عمليات الهجوم الجوى المتوحش قصفت القطيبى ، والضالع وقعطبـة ، وتعز ، ويريم ، وذمار ، وآب ، والنـــادرة ، وماويه ، والعـــدين ، والميزة ، وحيس ، والمخا وركزت هجومها بشكل خاص على المركزين الرئيسيين للجيش اليمنى ، قطعبة ، والضالع . وفى قعطبة وحدها قتل أكثر من ١٤٠ امرأة وطفلا. وعلى صنعاء أيضا حلقت طائرات استكشاف بريطانية . وعم

السخط والجزع اليمن كما لم يحدث ذات يوم ، وغادر السكان الآمنون والذين أصبحوا تحت التهديد المباشر بيوتهم ولاذوا بكهوف الجبال

وازاء الهجوم الجوى والبرى المركز اضطرت الحاميات اليمنية الى الانسحاب من كل السلطنات والامارات . والمشيخات التى كانت قد انتزعتها من الاستعمار البريطانى ، كالضالع ، والقطيبى وشعيب ، والعواذل ، وأخلت كل المواقع التى كانت تسيطر عليها فى الجنوب مثل السليك ، والطغوة ، والثوبة والردوع ، والمجباة . والمركولة ، والدمنة

غير أن سياسة « فرق تسد » ومشروع بريطانيا الخطير فى فصم وحدة شمال اليمن وتقسيمه ، وتحريك الشوافع ضد الزيود ، هذه السياسة التى لم تتراجع عن الكشف عنها صراحة وعلانية فى منشوراتها التى كانت تلقيها طائراتها على الاهالى قد فشلت فشلا ذريعا . بل بالعكس فان القصف الجوى الذى لم يفرق بين زيدى وشافعى أصاب الجميع بالدمار ، ولم يتحرك الشوافع لطرد « الحاميات الزيدية » من أراضيهم كما كانت تأمل بريطانيا ، وشعر الجميع انهم يواجهون عدوا واحدا هو الاستعمار البريطانى الغاشم . وعدا قبيلة الزرانيق فى تهامة التى استجابت للتحريض البريطانى فان جميع قبائل الشوافع قد أحبطت بموقفها الصلب خطط التقسيم الاستعمارية

فى هذا الوقت الذى كانت بريطانيا الاستعمارية وايطاليا الفاشية قد عزمتا فيه معا على «ابتلاع» شمال اليمن إطل وجه جديد من الشرق لا تحركه نوازع استعمارية ، وكل ما يطمع فيه هو مد يد الصداقة النبيلة ، وتقديم المساعدة النزيهة ، وكان هذا الوجه الجديد هو الاتحاد

السوفييتى ، الدولة الاشتراكية الاولى والوحيدة فى العالم ..

وقد تكللت العلاقات التى بدأت بين اليمن والاتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٢٦ عن طريق البعثة السوفييتية التى كانت موجودة انذاك فى جدة بتوقيع معاهدة الصداقة والتجارة في مطلع نوفمبر عام ١٩٢٨ . وفى صنعاء استقرت بعثة تجارية سوفييتية ، وبدأت البواخر السوفييتية تحمل الى الحديدة البترول ، وبضائع أخرى زراعية وصناعية بأثمان زهيدة ، عرضت فى طول البلاد وعرضها ، واستقرت الاسعار التى كانت قد ارتفعت عاليا ، وتحرر السوق اليمنى من الاحتكار الايطالى ، وتحررت البلاد من ضغطه الاقتصادى ، وكسر احتكار ايطاليا للتجارة الداخلية والخارجية . وأيد الاتحاد السوفييتى استقلال وسيادة الدولة اليمنية ، وأظهر عطفه على حق الشعب اليمنى فى الوحدة . وفي الوقت الذى قوت فيه المعاهدة اليمنية ــ السوفييتية موقف اليمن ، وساعدتها على التخلص من عملية « التطويق » الاستعمارية والفاشية ، فانها كانت انذارا موجها الى عنوان المستعمرين والفاشيين باحترام سيادة واستقلال اليمن .. وكما مزقت هذه المعاهدة الحصار الاقتصادى والسياسى الذى كان غلاة الاستعمار والفاشية قد ضربوه من حول اليمن فانها ثبتت فى نفس الوقت مكانة اليمن الاقتصادية ــ والدولية

واذا كانت بريطانيا العظمى قد تمكنت عام ١٩٢٨ عن طريق الهجوم العسكرى وبأسلحة البطش والعدوان من رد الجيش اليمنى الى ما وراء خط الحدود التركى ــ الانجليزى الذى لم تعترف به الحكومة اليمنية قط ، فان

بالها لم يهدأ ، وبدا أنه لن يهدأ الا بعد أعتراف الحكومة اليمنية به كأمر واقع فرضته القوة الغاشمة . وهكذا أتيح لبريطانيا بعد مفاوضات طويلة توقيع معاهدة مع الامام عام ١٩٣٤ انتزعت بها اعترافه بالامر الواقع ، ومقابل ذلك اعترفت بدولة اليمن • وقبل توقيعها انسحبت الفصائل اليمنية من بعض القرى التى كانت ما تزال ترابط فيها خلف خط الحدود التركى ـ الانجليزى وبالذات من شمال سلطنة العواذل ، ويافع ، وامارة الضالع . غير أن بريطانيا لم تستطع الحصول على اعتراف الحكومة اليمنية بهذا الخط ، أو الزامها بتخطيط الحدود من جديد ، حيث أن المادة الثالثة من المعاهدة نصت على أن « يؤجل البت فى مسألة الحدود اليمنية الى أن تتم مفاوضات تجرى بينهما قبل انتهاء المعاهدة » التى حددت مدتها بأربعين عاما

وعلى الرغم من عدم الاعتراف بخط الحدود التركى ـ الانجليزى فقد عبرت المعاهدة عن انهيارالمقاومةللاستعمار البريطانى ، وعن استسلام الامام يحيى أمامه ، ورضوخه لشروطه ••

لقد انطفأت شعلة الكفاح فى الجنوب ، غير أنها ظلت مستعرة فى الشمال • فبعد مفاوضات طويلة مع ابن سعود ابتدأت منذ عام ١٩٢٦ حول نجران وعسير رفض خلالها ابن سعود بعناد وتعنت مطالب اليمن الشرعية فيهما أخذت نذر الحرب بين البلدين تلوح فى الافق • وعندما حاول ابن سعود بسط سلطانه على نجران التى فشلت فى اخضاعها كل حملاته العسكرية التى أرسلها ضدها منذ عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٣٢ كان الرد الوحيد هو تقديم الجيش اليمنى عليها فى مايو ١٩٣٣ ،

وقطع الطريق على محاولاته التوسعية الجديدة . فى نفس الوقت أخذ الادارسة الذين كانوا قد فروا الى داخل اليمن يشجعون ويحرضون الامام يحيى على العمل السريع من أجل استعادة المناطق اليمنية السليبة فى عسير ، ووعدوه بدعم ومناصرة أتباعهم له · فورا تقدمت قوة أخرى صوب جبال عسير تهـامة يصـحبها عبد الوهاب الادريسى ، وسيطرت مؤيدة بأهالى المنطقة من أتباع الادارسة على مجموعة جبال « ساق الغـراب » فى عسير تهـامة · وبالاستيلاء على نجران وجبال عسير تهامة ، وجـدت الحاميات السعودية نفسها شبه مطوقة ، وتوشك أن تقع تحت التهديد المباشر

كان ابن سعود قد استعد للصدام ، واجتلب لهـذا الغرض أسلحة حديثة ، وسيارات نقل بمساعدة البنـك الهولندى فى الحجاز ، وشركة ستاندرد أويل ، وفورد . ولعب مبعوث المخابرات البريطانية الخطير ومستشار ابن سعود جون فيلبى الذى كان قد تنبـأ بحتمية اندلاع الحرب بين اليمن والسعودية دورا بارزا فى هذا السبيل· وقدمت بريطانيا له معظم أسلحته الحديثة· ومن الرصاص وحده زودته الحكومة البريطانية من أكتـوبر ١٩٣٣ الى ابريل ١٩٣٤ بمليونى طلقة ، بينما احتجزت فى هـذا الوقت فى عدن ٨٠٠٠ بندقية مع ذخيرتها كانت اليمن قد اشترتها من ايطاليا · لقد أرادت قوى الاسـتعمار البريطانى ببيع الاسلحة وسيارات النقل لابن سـعود ليس تحقيق أرباح اقتصادية فقط ، وانما أرادت تهيئـة الملك الوهابى بذلك وبغير ذلك من وسـائل الدعم لان يعلن حربا توسعية ضد اليمن تكسب منها فوائداقتصادية وسياسية · هكذا أعلن ابن سعود الحرب على اليمن فى

٢٢ مارس ١٩٣٤ ليس بسبب النزاع على نجران وعسير فحسب ، وانما من أجل الاستيلاء على الارض اليمنية كلها • وانقسمت حملة الغزو السعودية الى ثلاثة جيوش ، جيش بقيادة الامير سعود بن عبد العزيز ، ومهمته الزحف صوب صعدة والسيطرة على الهضبة الوسطى الى صنعاء ، وجيش بقيادة الامير فيصل بن عبد العزيز ، وقد كلف باستعادة جبال عسيرتهامة والتقدم على تهامة اليمن فى اتجاه الحديدة ، وجيش بقيادة الامير خالد بن محمد آل سعود وهدفه السيطرة على نجران .

وعلى الرغم من أن الجيش اليمنى لم يكن يملك عدا بعض الاسلحة التى حصل عليها من ايطاليا الا أسلحته القديمة التى بقيت منذ العهد التركى والمكونة من البنادق والمدافع الجبلية فأنه قد أظهر فى القتال شجاعة نادرة ، وتفوقا عظيما ، ففى منطقتى نجران ، وصعدة لقيت القوات السعودية هزائم منكرة • وفى حرض تهامة لم تجد الجيش الوهابى حتى المصفحات والدبابات ، وظل الجيش اليمنى بعد معارك ملحمية هو المسيطر على الموقف

ومع أنه لم تحدث معركة حاسمة لا على الجبهة الشرقية فى نجران وصعدة ولا على الجبهة الغربية فى حرض وميدى تنهى القتال لصالح أى من الفريقين فان الامام يحيى فجأة أمر قواته فى حرض وميدى « بعدم الدفاع عن مراكزهم » ، وفى نفس الوقت أبرق الى ابن سعود يدعوه الى ايقاف الحرب ، ويقول له فى تخاذل وضعف : « يكفى ما كان • » غير أن هذا الموقف المتخاذل لم يزد عبد العزيز الا اصرارا ، وقوة ، وفى رده على الامام أكد له أن الحرب لن تتوقف حتى ينسحب الجيش اليمنى من نجران ، وجبال عسير تهامة • وفعلا سحب الامام قواته ليس من

نجران فحسب ، وانما أيضا من جميع أنحاء تهامة أى من عبس شمالا الى ميناء الطائف ، وباجل جنـــوبا ، وهى المنطقة التى كانت تابعة للادارســة ، وأصبحت منذ عام ١٩٢٥ تابعة لدولة اليمن ، والتى ظل ابن سعود يطالب بها منذ أن تم له ضم الامارة الادريسية فى عسير ، عند ذلك أعلن الامام أنه لا يعتبر نفسه فى حالة حرب مع ابن سعود • ولم يكف هذا كله لاقناع ابن سعود بايقـــاف الحرب ، ولم يستطع اقناعه بذلك أيضا الوفد الاسـلامى الذى قدم الى الحجاز مما أثبت بشكل قاطع أن غرضـــه من اعلان الحرب ليس النزاع على نجران وعسير ، وانمـا بالدرجة الاولى الحاق اليمن بمملكته الوهابية ، وهـــكذا تقدمت فرقة فيصل فى تهامة الى أن بلغت الحديدة دون مقاومة ، ودون طلقة رصاص واحدة

ولكن لماذا سحب الامام جيشه من نجران وتهـــامة مع أنه لم يهزم فى موقعة قـــط ؟ لقد علل الامام ذلك بأنه حرصا على عدم « اراقة دماء المسلمين ، وحتى « لا تدمـر أملاكهم » ولكى لا يتيح استمرار الحرب تدخـل القوى الاجنبية التى هى « أقوى منـــا ومن أخينا عبد العزيز » والتى « تطمح فى بلاد العرب » ، «« ولقد أخلينا تهامة مع احتفاظنا بكل حقوقنا فيها • »

الا أن السبب الحقيقى وراء ذلك الى جانب خوف الامام وجبنه هو حسبان ان جيش اليمن الجبلى ، والذى تعود أساسا على حروب الجبال لن يستطيع المقاومة طـويلا فى صحارى نجران وتهامة ضد الجيش السعودى الذى كان مزودا بأسلحة ميدان حديثة خفيفة وثقيلة • كما وضـح منذ بداية الحرب أن حكم الامام المتعصب قد أدى الى أن قبائل الاسماعيليين فى نجران وقبائل الشوافع فى تهامة

قد انتقلوا الى صف ابن سعود مما منحه قوة اضـــافية ، ووضع الجيش اليمنى عمليا بين نارين • ولم يبق هنـاك الا طريق واحد هو سحب الجيش الى الجبل ، وتركيـزه في المواقع الجبلية الاستراتيجية والهامة من حيث يستطيع تحت ظروف ملائمة أكثر مواصلة الحـــرب بنجـــاح ، واستدراج الفصائل الوهابية الى الوهاد التى لا تستطيع الخروج منها

بعد انسحاب الجيش اليمنى من تهامة مباشرة ، وقبل بلوغ فيصل الحديدة ظهرت أمام الميناء بواخر بريطانية ، وايطالية ، وفرنسية • لقد قصدت بريطانيا الاســتعمارية من ارسال سفنها الى الحديدة منع القوى الاجنبية الاخرى من التدخل فى الحرب ، ولا سيما بعد أن تراءى لها أن اليمن أصبحت مهددة بالسقوط فى يد صـــــديقها ابن سعود • وايطاليا الفاشية التى ظلت تعتبر سواحـــل اليمن الغربية « أرضا خلفية » لمســـتعمرتها اريتريا ، والتى من أجل الحصول على موطىء قدم لها فيها حاولت اكتساب الامام ، لم تكن مســـتعدة ، وبالذات فى هذا الوقت العصيب الذى بدا فيه أن مصير اليمن أصـبح على كف القدر للتخلى عن أحلامها القديمة • وبما أن بريطانيا قد اختارت ابن سعود لتحقيق مطامعها عن طريقه ، فان قرعة ايطاليـــا قد رست على الامام يحيى • وفرنسا التى ظلت ترفع ودون انقطـاع مطالب مزعومة على جـزيرة الشيخ سعيد أصبحت الان أكثر من أى وقت مضى مهتمة بتحقيق هذه المطالب ، وكان من مصلحتها على الاقـل أن تبعد خطر احتلالها عن طريق أى قوة أجنبية أخرى

وعندما دخل فيصل بن عبـــد العزيز الحديدة فى ٦ مايو ١٩٣٤ اعتقد الكثيرون خارج اليمن ممن فاتهم الامام

بظروف الحرب فى الجزيرة العربية ان الملك ابن سعود يقف الان على الذروة العليا من انتصار خاطف وعظيم ، وانه أقرب ما يكون لان يصبح سيد وقيصر الجزيرة العربية غير المنازع والوحيد ، والمعترف به

الا أن المرحلة الثانية والصعبة من سير الحرب مرحلة الحرب الجبليه بكل مصاعبها ومخاطرها التى لا تقهر كانت فى الواقع ما تزال فى بدايتها

لم يحاول ابن سعود الزج بفيصل فى مغامرة حربيه خطيرة بأقحامه عبر الجبال صوب صنعاء • وأصبح عبد العزيز « حذرا مما لا يتفق مع ماضيه » كما كتب جون فيلبى : ولقد أصبح ابن سعود حذرا لانه أدرك جيدا أن حربا جبليه بين القبائل اليمنية المحاربة ذات التجارب الكثيرة فى حروب الجبال وبين رجال فيصل من الاخوان لا تعنى الا ارتكاب « حماقة » فقط ، ولا تعنى الا اسلامهم الى التهلكة ، وضياع كل سمعته التى اكتسبها خلال حروبه مع أمراء شمال الجزيرة

وعلى أى حال فقد علق عبد العزيز آماله على سعود الذى كلف باحتلال الهضبة عن طريق الشمال • غير أن حظ سعود كان سيئا للغاية ، فلقد أوقف تقدم فرقته نهائيا • وفى اليوم الثانى فقط من دخول فيصل الحديدة دارت بين جيشه والجيش اليمنى أقسى وأعنف المعارك فى باقم ، وبباد ، والنقع ، والشطبة ، وعلس من لواء صعدة . وقد اشتركت فى هذه المعارك قبائل من صعدة وسحار ، وبنى جماعة ، وغيرها من القبائل اليمنية • وقد استمر الهجوم العاصف والعام الذى شنه الجيش والشعب اليمنى يومين كاملين من سبعة الى ثمانية مايو ، وأمامه تمزقت صفوف الجيش السعودى ، وانسحبت

في ذعر وبغير نظام وفى مقدمتها سعود مخـلفة وراءها البنادق ، والمداف والخيام ، والجمال ، وسيارات النقل، و ٢٠٠٠ سعودى بين قتيل وجريح

وبهذه المعركة الحاسمة طوح بالجيش السعودى الى خارج لواء صعدة الى صحارى نجران ، وأعيد الاتصال المباشر بين قوات صعدة ، والقوات العاملة والمنتصرة فى جبال عسير تهامة ،وكادت قوات فيصل تعزل عن السعودية وتحصر داخل تهامة اليمن وبينما كان مشروع تطويقها قيد البحث أعلنت الهدنة. لقد كان انتقال الجيش اليمنى من مركز الدفاع الى مركز الهجوم هو الذى حول سير الحرب ، ولقد كانت هزيمة جيش سعود فى صعدة هى التى أقنعت المغامرين فى السعودية بعدم جدوى استمرارها ، وباستحالة تحقيق أى انتصار على الشعب اليمنى ، وبالتالى أقنعتهم بايقافها • ولقد أدركوا أن التقدم فى جبال اليمن لا يعنى الا التقدم نحو موت مؤكد ، فالسير فى الهضبة ليس كالسير على الشاطىء الذى دخلته القوات السعودية دون كفاح ، ودون جهد ، ودون طلقة رصاص واحدة

كذلك أدرك ابن سعود أن البقاء فى تهامة يعنى استمرار الحرب ، ويعنى خلق جيش احتلال نظامى غير الاخوان البدو يستطيع حماية ظهره من هجمات الجيش اليمنى الذى يشكل الجبل كله غطاء حاميا له ، وخندقا ملائما لاستمرار نضاله ، وبدون مساعدة بريطانيا العسكرية والاقتصادية لا يستطيع ابن سعود توفير متطلبات هذا الجيش . غير أن بريطانيا الاستعمارية ليست اليد الوحيدة المطلقة التى تملك أن تصنع ما تشاء، ولقد وجدت فى ايطاليا الفاشية ، وفرنسا الامبريالية

منافسين خطيرين . لقد كان مصير تهامة أشبه بحبل تتجاذبه الدول الاستعمارية الثلاث

ونظرا لان الدول الثلاث لم تستطع ان تتفق على كيفية تقسيم « الغنيمة » وليأس ابن سعود المطلق فى امكان تحقيقه نصر على اليمن مال سهم الاحداث فى اتجاه الصلح بعد الهدنة . فمن جهة نصحت بريطانيا صديقها عبد العزيز بايقاف الاعمال الحربية ، ومن جهة أخرى أدرك الجانب اليمنى والسعودى معا أنه ليس فى امكانه تسجيل نصر حاسم ونهائى ضد الاخر . وهكذا فضل عبد العزيز أن يقنع بأن يجعل تهامة مادة للمساومة، أن ينسحب من تهامة مقابل أن تسحب الحكومة اليمنية جيشها من جبال عسير السراة ، وأن تتنازل عن عسير بجزأيها وعن نجران وأن تسلم الادارسة لابن سعود . وهكذا كان ، وتم الصلح وعقدت اتفاقية الطائف فى ١٩ مايو ١٩٣٤

فى ميدان الحرب لم يكن هناك غالب ولا مغلوب . ومع ذلك فقد سجلت اتفاقية الطائف مع السعودية هزيمة سياسية بالنسبة لليمن . فعلى الرغم من ان الامام لم يتخل نهائيا عن نجران وعسير ، فان الاتفاقية قد اعترفت ببقائها تحت الحكم السعودى لمدة عشرين عاما تتم قبل انقضائها بستة شهور مفاوضات أخرى لتعديلها ، تماما كما سمح بمقتضى معاهدة صنعاء قبل ذلك بشهور باحتلال جنوب اليمن حتى تجرى مفاوضات أخرى قبل انقضاء مدة المعاهدة

لقد كان عام ١٩٣٤ عام انهيار المقاومة ازاء الاستعمار البريطانى ، والتوسع السعودى . لقد عبرت كلتا المعاهدتين عن الاستسلام لمطالب بريطانيا فى الجنوب ،

ولمطالب ابن سعود فى الشمال ، في جيزان ونجــران .
وكان عام ١٩٣٤ عام توقف حركة اليمن التاريخيه من أجل وحدة الارض اليمنيه ، وعام تقارب الحكام اليمنيين مع الاستعمار البريطانى ومع الحكم السعودى ، ولقــد كشف هذا العام أنه رغم الكفاح المستمر ، والتضحيـات الغالية التى قدمها الشعب اليمنى من أجــل تحقيق وحدة الارض اليمنية فان الجهاز الحاكم الذى كان يسيطر عليه لم يكن يملك المتومات أو الشروط التى تســاعد على تحقيق هذه المهمة التاريخية .فنتيجة للتركيب الاقتصادى والاجتماعى المتخلف الذى قامت عليه دولة الائمة لم يكن فى امكان الشعب اليمنى أن يصل بكفاحه الى نهــاية النصر ،والى خلق وحدة وطنه . ان فشل ايجاد دولة يمنية موحدة لا يعود فقط الى قوة بريطانيا وحليفها ابن سعود اللذين اعترضا هذه المسيرة التاريخية وانما يعود بالدرجة الاولى الى طابع الدولة التى وقف على رأسها الائمة. فمملكة الائمة الرجعية بنظامها الاقطاعى ، الطائفى ، العنصرى لم تكن تستطيع أن تفرض وحدة الوطن اليمنى بحرب تحرير ثورية . ولقد كانت القوى العسكرية التى وضــعت فى فى الميدان ضد بريطانيا وابن سعود تتشكل من طائفــة واحدة فقط ، هى طائفة الزيديين . فلا الشــافعيون ولا الاسماعيليون داخل مملكة الامام أو خارجهــا كانوا مناصرين لحركة الكفاح ضد بريطانيا أو ابن ســعود ، لسبب واحد وهو أنهم لم يقبلوا بامام طائفى ، عنصرى ، متعصب يحكمهم ، أو يوجه نضالهم . ولقد كان نظــام الضرائب البالغ القسوة ، واستخدام الجنود عند جبــاية الضرائب ، ونظام الرهائن الخالى من الشفقة ، وما عــدا ذلك من المعالم الرجعية لدولة الائمة من الاسباب العميقة

التى حالت بين الشوافع والاسماعيليين فى عسيرونجران وفى جنوب اليمن ، وبين التحمس لقضية وحدة الوطن اليمنى ..

لقد أثبتت سنوات الكفاح المضنى والمرير ان مهمة تحرير الارض اليمنية من الحكم الاجنبى تتطلب أولا التحرر من الحكم الرجعى الداخلى، وأن رفع الظلم الداخلى، والاضطهاد الطبقى ، والطائفى ، والعنصرى مقدمة لازمة لرفع الظلم الخارجى ، والاضطهاد الاجنبى ، وأن تحرير الانسان اليمنى هو الخطوة الاولى لاطلاق قواه وطاقاته من أجل تحرير وطنه . ولقد أكد نضال الشعب اليمنى أن حرب تحرير وطنية ثورية ناجحة تتوقف أولا على خلق جهاز حكم متحرر وطنى ثورى يستطيع أن يعبىء الشعب كله وراءه ، ويقنعه بقيادته له

ولقد جاءت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ لتفتتح هذا العهد ، عهد تحرير المواطن اليمنى توطئة لتحرير أرضه من الاستعمار البريطانى ، والتسلط السعودى . فالثورة اليمنية التى اسقطت مملكة الائمة الرجعية ، وأعلنت قيام جمهورية وطنية متحررة تشكل انذارا ثوريا حازما للاستعمار البريطانى ، والرجعية السعودية ، وبنشوبها توفر الشرط الحاسم لانطلاق حركة التحرير الوطنية اليمنية ، وفشل كل المخططات الاستعمارية

ولقد ادرك الاستعمار البريطانى وأدركت الرجعية السعودية اتجاه الثورة اليمنية التاريخى ، ومهمتها العظمى التى وضعها التاريخ اليمنى على عاتقها ، ثأرا للماضى ، وانتصارا للمستقبل ، ولهذا فانهما قد شنا ضدها حرب تدخل رجعية استعمارية سافرة

ولم يكن اندفاع بريطانيا المسعور ضد الثورة اليمنية

دفاعا عن عرش الرجعية الذى سقط فى صنعاء بقدر ما كان دفاعا عن برجها الاستعمارى فى عدن . كما لم يكن هجوم الرجعية السعودية المحموم ضد الجمهورية اليمنية استمرارا لتدخلها ضد انتفاضات الشعب اليمنى كما حدث عام ١٩٤٨ .. ومحاولة لاعادة الحياة الى نظام دفن فى اليمن وانما بالدرجة الاولى دفاعا عن نظام شبيه له اهتزت قواعده بفعل الثورة فى شمال الجزيرة ، ولم تعد تملك طغمة الرجعية فى الرياض امكانية شن حرب توسعية علنية بقصد الالحاق كما كانت تصنع فى الماضى ، وأصبح كل ما تملكه هو تجنيد المرتزقة والرجعيين من داخل اليمن ومن خارجها ودفعهم الى مغامرات مجنونة حمقاء . على أن ما يشجع الرجعية السعودية اليوم على الاستمرار فى سياستها التقليدية ، سياسة عداء اليمن ، وشعب اليمن ، والتدخل دائما فى أموره الداخلية ، ومحاولة فرض مطامعها وسياستها عليه هو الاستعمار الامريكى ، الذى ادرك بدوره ان قواعده الاستعمارية فى الظهران ، ونفوذه السياسى والعسكرى فى الرياض ، ومصالحه البترولية فى الجزيرة العربية قد دنت ساعة التخلص منها بقيام ثورة اليمن التحررية التى اشاعت فى طول الجزيرة وعرضها زوحا ثورية جديدة ، وعهدا ثوريا متأججا

ولقد وضع التاريخ على شعب اليمن الثائر فى الشمال والجنوب مهمة مواصلة كفاحه التاريخى الملىء بالتضحيات ، والانتقال به الى مرحلة تحقيق الامل ، مرحلة اسقاط الحكم الاستعمارى فى الجنوب بعد أن تم له اسقاط الحكم الرجعى فى الشمال ، مرحلة تحرير الاراضى السليبة فى نجران وعسير وتحطيم عرش العمالة والرجعية فى الرياض ، مرحلة خلق دولة يمنية ، موحدة

مستقلة ، وطنية ديموقراطية • وليس أوان تحقيق ذلك ببعيد ، ذلك لانه تحت هدير حركة التحرر الوطنية العربية العارمة وتحت ضربات الثورة العربية الشاملة ، سوف ينطوى علم الاستعمار فى عدن ، وترتفع مكانه راية الحرية ، راية الجمهورية العربية اليمنية ، وسوف تندحر طغمة الرجعية السعودية ، وتضىء مشاعل الثورة فى الرياض كما أضاءت فى صنعاء

تلك حتمية تاريخية يفرضها التطور ، وقانون موضوعى لا يملك مقاومته حتى الاستعمار والرجعية ، وتيار تقدمى يسير فى اتجاه التاريخ الصاعد دائما الى الامام

وبعـــد :

فهل هى مجرد صدفة تاريخيـــة ان تبرر حكومة الاستعمار البريطانى فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر ضرورة احتلالها لعدن بوجود جيش مصرى على سواحل اليمن يهدد طريق التجارة الى الهند ، وان تبرر اليوم عدم اعترافها بالجمهورية اليمنيـة بوجود جيش مصرى فى اراضيها ؟!

وهل هى مجرد صدفة غريبة ان تكتل بريطانيا كل قوى حلفائها الغربيين فى محور واحد فى النصف الاول من القرن التاسع عشر من أجل ارغام الجيش المصرى على الانسحاب من اليمن ومن غيرها من الاراضى العربية الاخرى وتحصره داخل حدود مصر ، وان تكتل اليوم كل قوى حلفائها الغربيين فى جبهة واحدة من أجل ارغامه على الانسحاب من اليمن كمقدمة لحصره داخل حدود مصر

ذلك ليس صدفة وانما هو استمرار تاريخى ومنطقى لسياسة الاستعمار البريطانى الكلاسـيكية . واذا كان

الجيش المصرى قد دخل اليمن فى القرن التاسع عشر وفى مصر حكم اقطاعى ، فانه لم يدخلها اليوم بقصد الفتح والتوسع الاقطاعى ، وانما دخلها استجابة لرغبة ودعوة جمهورية اليمن ، ودخلها وفى مصر حكم عربى ثورى يقود حركة الامة العربية كلها الى الحرية ، والاشتراكية والوحدة . واذا كان الاستعمار البريطانى قد استطاع ان يفرض على الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر الخروج من اليمن نظرا لان القوى المتحكمةفى العالم أنذاك كانت هى قوى الاستعمار ، ولان حكام مصر حينئذ لم يكونوا يملكون تقديم نموذج جديد لمجتمع جديد يقنعون به الشعوب العربية الاخرى ، فان الذى سيخرج هذه المرة من اليمن هو الاستعمار البريطانى لان حركة التاريخ فى العصر الحاضر قد دارت على الاستعمار نفسه ، ولانه لم يعد المتحكم والمسير لاقدار البشر ، ولان فى مصر اليوم نظام حكم جديد يمثل مستقبل الامة العربية كلها ، ويرمز الى امالها فى الحرية والتقدم ، ويملك ان يجهز جيش تحرير كامل لمواجهة الرجعية والاستعمار فى شمال اليمن ، وفى جنوبه ، ولمواجهة الصهيونية فى فلسطين

وبسيطرة الثورة العربية على مضيق باب المندب بعد سيطرتها على قناة السويس تكون قد ملكت القدرة على تحويل البحر الاحمر من بحيرة انجليزية الى بحيرة عربية، وعلى خنق القواعد والمصالح الاستعمارية فى الشرق العربى وضرب استراتيجية ومصالح الاستعمار شرقى السويس ..

# الباب الأول

* لمحة عامة
* فساد نظام الامامة
* التركيب الاجتماعى والاقتصادى
* دور الجمهورية العربية المتحدة
* الدلالة الوطنية للثورة

## لمحة عامــة

كل ثورة من الثورات فى أى بقعة من بقاع الارض لابد ان تكون امامها أهداف معينة تسعى الى تحقيقها واضحة كانت هذه الاهداف او غامضة ، مكتوبة فى سطور أو محفوظة فى الصدور ، ولم تكن حركة المعارضة اليمنية للحكم الامامى منذ نشوئها فى مطلع الثلاثينيات استثناء من هذه القاعدة العامة . فقد كانت لديها أهداف عامة كثيرة بعضها واضــح ، والبعض الاخر غامض ، وقد اشتمل برنامج الاحرار على الاهداف الخمسة التاليــة :

مقاومة الاستبداد ، واقامة حكم الشورى ، البحث عن الشخصية القيادية ، والاندماج بالامة العربية وسعادة الشعب ..

الا أن احد اهداف الاحرار الرئيســية كان مايزال يصاحبه الكثير من الغموض ، فحركة المعارضة لم تدع الى الغاء نظام الامامة الملكية من أساســه باعتباره بؤرة الفساد ومركز تجمعه

وهكذا كان من أسباب فشل انتفاضة عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٥ م وجود امامين على رأسهما من نفس العائلات الحاكمة حيث لم ير الشعب فى كلتا الحركتين الا جانبهما الظاهر .وهو التطاحن والنزاع على العــرش بين الاسر

الحاكمة . الا ان هاتين الحركتين لم تضعفا وتضعضعا العائلة المالكة فقط ، بل انهما طرحتا أمام الشعب أهدافا اكثر وضوحا وجلاء ، الا وهو ضرورة القضاء على النظام الامام الملكى واقامة النظام الجمهورى الشوروى مكانه .

وما ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ التى اسقطت النظـام الامامى الملكى واعلنت الجمهورية العربية اليمنية الا امتدادا للاعمال الكفاحية والانتفاضات الثورة السابقة والدؤوبة التى استمرت ثلاثين عاما ، والا تتويجا لها وتعبيرا جليا عن وضوح الرؤية الثورية وعن تحديد الهدف ..

## ضرورة وضع منهاج للثورة

لقد كان من الاهداف التى قامت عليها الثورة :
القضاء على الملكية وأعوانها من الرجعية ..
اقامة النظام الجمهورى ..
ايجاد جيش وطنى ..
اقامة تنظيم شعبى ..
تحقيق الوحدة الوطنية والعربية
تحقيق العدالة الاجتماعية ..

ورغم ما لهذه الاهداف من أهمية عظمى الا أنها تتطلب الان صياغة موسعة متطورة . ان هذه الاهداف الكبيرة تشكل معالم على الطريق . ويجب الانطلاق منها عنـد وضع منهاج متكامل جذرى للتغيـــير الثورى تلتزم به الثورة وتسير على هداه ، منهاج يحـــدد أيديولوجيـــة الثورة وطابعها السياسى وطبيعة النظام الجـديد الذى تريد اقامته ، منهاج يبرز افضلية النظام الجمهورى على

النظام الملكى المسقط ، ويشخص التركيب الاقتصادى والاجتماعى المتخلف بغرض هدمه واحلال تركيب اقتصادى واجتماعى متقدم مكانه . اذ ان الثورة لا يمكن أن تسمى ثورة بالمعنى العلمى للكلمة بمجرد خلعها ملك أو قلبها لعرش ، انها تشترط ضرب القاعدة الاقتصادية للنظام القديم ،وهدم البناء الفوقى الايديولوجى والسياسى الذى قام عليها ، انها عملية تاريخية تتحول بها العلاقات الانتاجية والاجتماعية تحولا كيفيا ، وتقلب بها الاوضاع السياسية والثقافية السابقة رأسا على عقب . ان المنهاج يتكفل برسم افاق عملية التغيير هذه وبتحديد القوى الثورية المحركة لها والمعوقة . واكثر من ذلك فان المنهاج يتولى تعيين سياسة الدولة على النطاق العربى والدولى، وموقف الشعب اليمنى من قضية الوحدة العربية وقضية النضال الوطنى التحررى ضد الاستعمار . ان المنهاج هو دليل العمل وبوصلة الثورة الهادية . انه الميثاق الوطنى للتنظيم الشعبى ، ولكل جماهير الشعب المناضلة ، تلتزم به وتطبقه ، وبتجربتها فى العمل الوطنى تغنيه وتخصبه وتعمقه وتطوره ..

## الثورة ذروة تقاليد الشعب الثورية

ان اليمنيين لا يشعرون بالاعتزاز والفخر بأنهم صناع حضارة قديمة عريقة عرفت فى التاريخ بأنها احدى حضارات العالم القديم الشهيرة فحسب ، وانما لانهم اشتهروا ايضا فى التاريخ الحديث بروحهم النضالية المتفانية فى مقاومة الغزاة الاجانب الذين تدافعوا على شواطىء اليمن ـ منذ القرن الخامس عشر يريدون بسط سلطانهم عليها ليضمنوا بذلك التحكم فى طريق

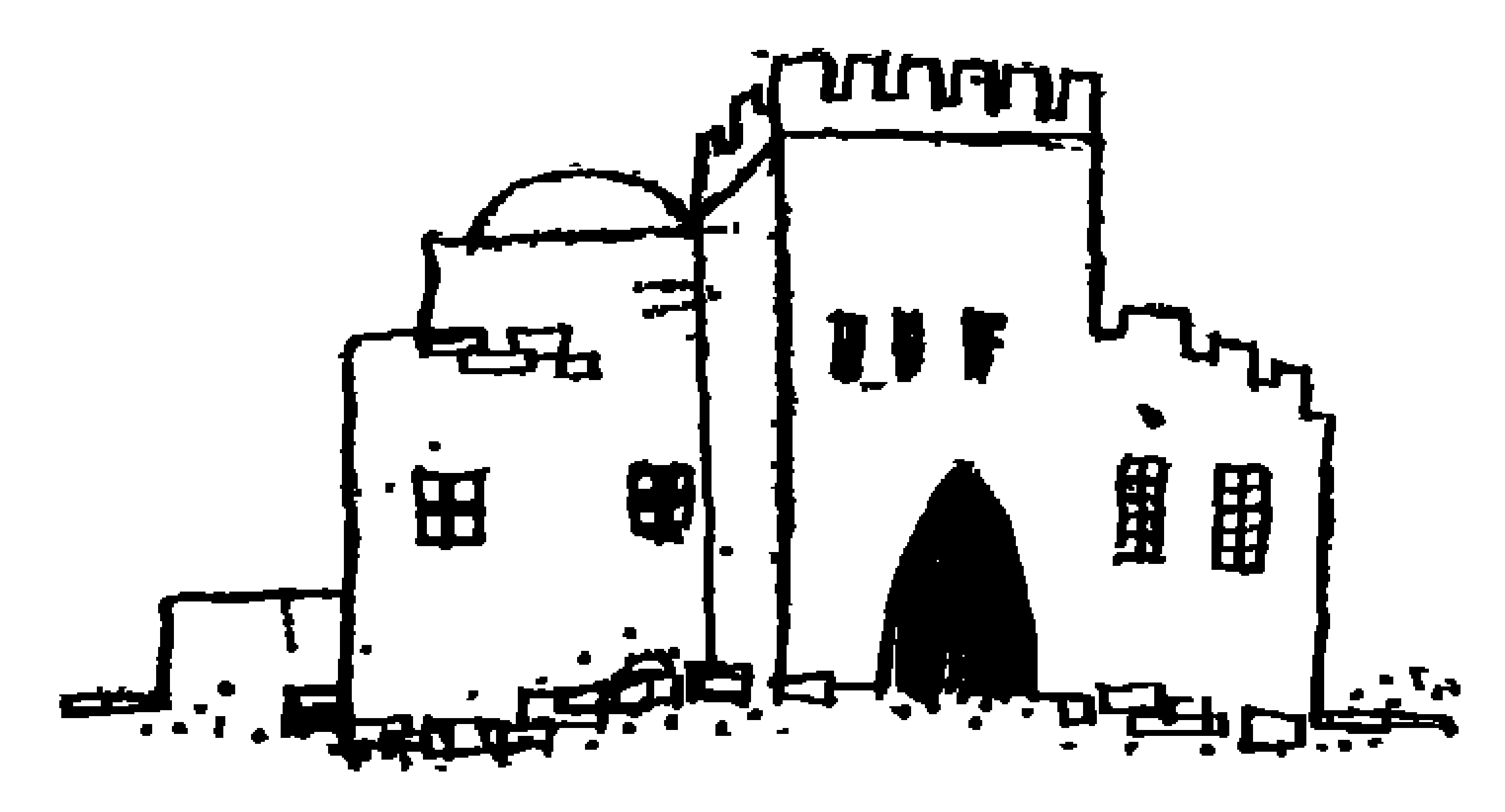
الهند ويقبضوا على شريان التجارة بين الغرب والشرق وعلى عنق البحر الاحمر فى باب المندب وليحتكروا تجارة البن اليمنى الذى اسال ظهوره فى هذا الوقت لعـــاب القوى الطامعة

فعلى صخرة مقاومة شعبنا تحطمت محاولات الغزو التى قام بها البرتغاليون والهولنديون والفرنسـيون . ولقد كان الاتراك والانجليز اشرس هذه القوى الغازية . وان الحرب الطاحنة التى دارت رحاها على قمم اليمن الشماء وعلى سهوله البطحاء بين المحـاربين اليمنيين والجيوش التركية الجرارة فى الغزوة التركية الاولى والتى خرج منها اليمنيون منتصرين بينما بقيت الشـعوب العربية والاسلامية وغيرها من الشـعوب رازحة تحت الحكم العثمانى لهى من التقاليد الثورية الخاصة بشعبنا والتى نعتز بها أشد الاعتزاز ، وان الحروب الضـارية التى اشتعلت بين المحاربين اليمنيين والجيـوش التركية ــ الغازية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهـاية الحرب العالمية الاولى والتى كان الجبل والسهل مسرحـا لها والتى تحولت بهـا اليمن ــ الى مقبرة للاتراك ، لهى من المآثر التاريخية العظمى التى تروى عن اليمن ــ والتى ستبقى ابد الدهر مفخرة لليمنيين واهزوجة انتصارهم فى ملاحم المستقبل القادمة . لقد تمكن شعبنا بنضـاله الرائع ان يقيم بعد الحرب العالمية الاولى فى الهضـبة الوسطى من اليمن ــ وعلى الشريط الساحلى المطل على البحر الاحمر اساسا لدولة يمنية موحدة مستقلة

ان محاولات توسيع نطاق هذه الدولة بحيث تشمل كل أراضى اليمن التى تمتـــد فى الجنوب حتى عدن وحضرموت وتمتد فى الشمال حتى عسير ونجران قد

منيت عام ١٩٣٤ م بهزيمة سياسية ساحقة

ان السبب فى ذلك لايعود فقط الى القـــوة المتفوقة للاستعمار البريطانى وحليفه ابن سعود اللذين وقفا سويا فى وجه الشعب اليمنى ـ وانما يعود أيضا الى طبيعـة النظام السياسى المتخلف والرجعى للدولة اليمنية . ان عام ١٩٣٤ م ، الذى استسلم فيه الامام يحيى امام بريطانيا وابن سعود ، وعقد معهمـــا فيه معاهدتين ـ استسلاميتين تنازل بمقتضى احداهما عن جنوب اليمن لتحكمه بريطانيا اربعين عاما ، وتنازل بمقتضى الثـانية عن عسير ونجران ليحكمهما أبن سعود عشرين عاما ، ان هذا العام يشكل ساعة ميلاد حركة المعارضة اليمنيـــة لحكم الامام يحيى ، حيث أن هذا العام قد كشف ضعف الدولة اليمنية والجيش اليمنى وفشل حركة توحيـد اليمن ، وانحطاط النظام الامامى ورجعيته . وكانت حركة المعارضة استمرارا للروح الثورية لدى الشعب اليمنى وتعبيرا عنها ، وبعد كفاحات مريرة وأعمال بطولية قدمها شعبنا امكن له الظفر بحريته باندلاع ثورته المجيدة ، فى ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ م . وهكذا فان الثورة اليمنية لاتشكل استمرارا لتقاليد شعبنا اليمنى الثورية فقط وانما تعتبر أيضا قمة اعماله الكفاحية وتقف فى الذروة العلياء منها



# فســاد نظام الإمامــة

على الرغم مما يبدو نظريا من أن مذهب الامامة الزيدى لا يبيح الوراثة المطلقة للعرش الا أن الواقع التــــاريخى قد برهن على أن الامامة قد تحولت الى ملك وراثى مطلق عضوض . وبذلك نقضت احدى المقومات الشرعية للحكم الاسلامى الصحيح . ان نظام الامامة الزيدى لم يضعه زيد بن على كما قد يتوارد على الاذهان وانما الذى صاغه واكمل صياغته القاسم الرسمى ومن تلاه من الائمة من آل بيته . وهكذا بدأ نظام الامانة كتكريس للحــــــكم وكوراثة مطلقة للعرش فى أسرة واحدة هى أسرة القاسم الرسمى التى ينحدر منها بيت حميد الدين . وليس ادل على ذلك من أن هذه الاسرة انفردت بحكم اليمن منــذ القرن العاشر حتى القرن العشرين حيث لم تخرج السلطة من يدها الا نادرا . لقــــد وضعت للامامة شروط عدة ولكنها اما متناقضة ، او لم تتحقق . ان احــد شروط الامامة هو ان يكون الامام ورعا تقيا ، الا ان هذا الشرط ينقضه حكم اخر يقول : بجواز امامة المفضول مع وجود الافضل . كما أن نظام الامامة قد حــــرم على من ليس بهاشمى تولى رئاسة الدولة . ومع أن هذا الشرط يتناقض

والديموقراطية فانه رغم حيفه لم يتحقق أيضا ، حيث أن أسرة الرسى هي التى استأثرت بالحكم دون غـــيرها من الهاشميين • وأكثر من ذلك فان هذا الشرط قد أبطل في عهد الامام يحيى تماما حيث سمح يحيى لابنه الاكبر أحمد أن يدعو نفسه وليا للعهد ومكن له من تهيئة نفسه لخلافته بمختلف الوسائل والسبل، وقام نظام الامامة على التعصب الطائفى حيث لم يفرض على الشافعيين والاسماعيليين أن يكونوا محكومين فقط ، بل واعتبرهم كفار تأويل وأباح نهب أموالهم

ومن هنا اهتم الامام يحيى في أن يكون جيشه من طائفة واحدة فقط من أجل نهب الطائفتين الاخريـــين وابتزاز أموالهما عن طريق الجنود والضرائب الباهظة . وفـرض نظام الامامة على اتباعه السمع والطاعة واعتبر من خرج على الامام لظلمه أو استبداده فاسقا باغيا فاجرا .وكرس نظام الامامه السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية فى شخص واحد هو الامام ووضع فى يده السلطة الدينية والدنيوية ، فالامام هو كل شيء ويعمل كل شيء • ولهذا السبب فان الامام يحيى ومن بعده احمد لم يهتما بانشاء جهاز سياسي وادارى للدولة . لقد أعطى نظام الامامة الامام سلطة دولية غير محدودة من أجل اقامة حكم مطلق فردى كهنوتى • ان نظام الامامة الذى كرس فى شخص الحاكم كل وظائف الدولة قد بدأ باعتباره وسيلة لتجسيد الدولة فى شخص الامام . ولم يستطع الامام يحيى ومن بعده احمد ممارسة هذه السلطة الا بواسطة نظام الرهائن هذه الظاهرة الفريدة فى استرقاق الناس ، والا عن طريق القمع الوحشى للانتفاضات القبلية . وهكذا تميزت دولة الامامة بانها حكم اقطاعى كهنوتى ، حكم ارستقراطى فريد

ى نوعه ، حكم إستبدادى أرستقراطى فردى مطلق وطغيان مسلح .. ان هـــذا النــوع من الحــكم الوحشى يتنافى مع الروح الديمقراطية للاسلام التى جعلت الامر شـــورى بين الناس ، ومع تقـــاليد الشعب اليمنى الديموقراطية، ألم تقل ملكة اليمن ـ فى العصور القديمة ـ « ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » ان حكم الامامة الشرس تنكره شرائع الارض والسماء

## اليمن فى ظل العزلة والجمود السياسى

كان شمال اليمن اول بلد عربى يحقق استقلاله السياسى الكامل بعد الحرب العالمية الاولى وفور انسحاب الاتراك من اليمن . وكان اليمنيون الذين خاضوا الحروب الوطنية التحريرية ضد الاتراك ثم ضــد الانجليز والذين قامت الدولة اليمنية على اكتفاهم يأملون فى أن يكون الاستقلال عاملا فى انتقال بلادهم من التخلف والركود والتأخر الى التقدم والرقى والحضارة ، وان يكون نقطة انطلاق الى تحقيق مطامحهم العادلة . ولقد كان فى امكان اليمن ان تسير فى نفس الطريق الذى سارت فيه اليابان مثلا والذى اصبحت بالسير فيه بلدا يضاهى الدول الاوربية ذات الحضارة المتطورة ، ان الامر لم يكن أصعب مما كان عليه فى اليابان ولو أن حكومة اليمن سارت بالبلاد فى هـــذا الطريق لاصبحت اليمن ذات وزن سياسى عالمى . كان فى امكان حكام اليمن من الائمة ان يدخلوا حتى بعض الاصلاح والتجديد على حياة اليمن وأن يأخذوا ولو ببعض الشىء من منجزات الحضارة الحديثة . ولكن الذى حدث هو العكس تماما ، لقد ضرب الامام يحيى نطاقا رهيبـــا من العزلة على اليمن وكان هدفه من ذلك أن يبقى الشعب اليمنى بعيدا

عن سير التاريخ معزولا عن التفاعل مع العالم المتحضر وبمنأى عن التطور العاصف فى القرن العشرين ، وعن التحولات التاريخية الكبرى التى تجرى فيه ، وعن الكفاح الوطنى والمعادى للحكم المطلق فى الشعوب العربية ، وعن مراكز الالتهاب لحركة التحرر الوطنية العربية . كان هدف يحيى من العزلة ان يحتبس الشعب اليمنى فى سجن معتم من القرون الوسطى ، وان يفرض عليه منطق السمع والطاعة ، وان يضرب عليه الذلة والمسكنة . لقد كانت العزلة الخانقة التى ضربت من حول اليمن تعبر عن جمود الائمة السياسى ، وفقدان قدرتهم على التفاعل مع الحياة ، وعن رجعيتهم وتخلفهم . وهكذا فان ركود التطور الذى بدأ فى اليمن قبل ١٥٠٠ سنة مع انهيار الحضارة اليمنية القديمة استمر فى عهد الامامين يحيى وأحمد قائما بل وازدادت مرافق الحياة فى عهدهما تدهورا وانحطاطا وبقيت اليمن كما فى السابق تعيش فى القرن العشرين ، ولكنها تحيا حياتها الاولى فى القرن السادس الميلادى وأصاب حياة اليمن شلل عام ، ومزق عصب الحركة فيها وظلت تغط فى نوم عميق خلف جدار العزلة الرهيب، وعلى رأسها سيف الجلاد يضطرها الى الامعان فى النوم ، بينما جلبة الحياة وحركتها الصاخبة من حولها تصك مسامعها. وكانت نتيجة هذه السياسة التدميرية هذه اللوحة السوداء :

لم ينشأ فى اليمن جهاز ادارى حديث للدولة، وحلت سلطة الامام المطلقة محل سلطة الشعب ولم يكن فى البلاد نظام صحى أو تعليمى ، ولم توجد مؤسسات صناعية أو زراعية أو منشآت للرى ، وبقيت اليمن فى ثقافتها وزراعتها ومستواها الاجتماعى وفى جميع مرافق حياتها تعيش فى أكثر مراحل القرون الوسطى تخلفا . وبسبب من فقدان

وسائل الري، ونتيجة للضرائب العالية حدثت المجاعات وعم الفقر في اليمن . وعندما اكتسحت احدى المجاعات صنعاء قال الامام يحيى كلمته المشئومة : « من مات فهو شهيد، ومن عاش فهو عتيق » واصبحت سياسة تفقير الشعب منهجا له ، الم يقل : « من كان فقيرا ظل منشغلا برغيفه اليومي بحيث لا يجد وقتا للاهتمام بالسياسة » وفرض الائمة سياسة التجهيل ازاء الشعب حيث أصروا على عدم ادخال المناهج الحديثة في التدريس وعلى عدم اقامة المدارس الحديثة وكانوا ــ بهذا على أي حال ــ منطقيين مع انفسهم ، اذ ان ادخال العلم الحديث الى اليمن يعني القضاء على المدرسة القديمة التي لا يعلم فيها غير مذهب الامامة ومنطقها في السمع والطاعة للامام . وفرض الأئمة على الشعب ان يبقى في حالة من المرض لا يقوى معها على الحركة وبهذا أرادوا قتل الحياة فيه . ومنذ ان اعتلت أسرة بيت حميد الدين العرش اهتمت بجمع الاموال ومصادرة ممتلكات الناس متعللة بهذا السبب او ذلك . وهكذا أصبحت العائلة المالكة من أقوى الاسر الاقطاعية

في البلاد ، فنشأ ما سمي « الاملاك السعيدة » و« الصوافي » وكان الأئمة يقشعرون من ادخال الآلات الميكانيكية الحديثة في الزراعة ، كانوا يخشون ان تؤدي الحضارة الميكانيكية الى تفجير الاساس الذي قامت عليه دولتهم ، لم يكن الامام يرغب باعتباره اقطاعيا وحاميا للاقطاع ولعلاقات الانتاج الاقطاعية في تغيير أسلوب الانتاج القائم . وعندما اقترح عليه بعض المفكرين وكان من ضمنهم ابنه محمد ادخال الوسائل الميكانيكية الى الزراعة ، وحفر الآبار لري الاراضي أجاب : اننا لا نريد فتح هذا الباب اننا نخشى ان يعرف اليمنيون وبالذات ذوو الاملاك منهم ذلك وان يستفيدوا من هذه الوسائل الحديثة ، وحينئذ سيرتفع سعر الاراضي.

وفى هذه الحالة لن نستطيع شراء أراضي جديدة لأولادنا وتوسيع أملاكنا ، ان ادخال الالات الحديثة الى الزراعة كان سيؤدى الى انشاء بذور لعلاقات جديدة ذات طابع رأسمالى وهـــذا ما رفضه الامام بوعي أو بغير وعى . الا أن شيئا واحدا مؤكدا وهو أن الائمة كانوا — من أجل الحفاظ على حكمهم المطلق — مهتمين جدا بالا يتغير التركيب الاقتصادى والاجتماعى الاقطاعى القبلى ..

ففى ظل هذه العلاقات الاقطاعية القبلية فقط يستطيع الامام أن يمارس سلطته المطلقة . ان الحضارة الحديثة والتقدم لم يكونا فحسب فى حالة تناقض حاد مع هـذه العلاقات ، بل كانا يشكلان أيضا خطرا جادا على حـكم الامام الاقطاعى . وتحت هذه الظروف الاقطاعية القاسية لم يكن ممكنا نشوء طبقات جديدة . ونتيجة لفقدان نظام مالى ملائم وما يتعلق به من مؤسسات ، ولعدم وجـود مواصلات حديثة ، ولاحتكار العائلة المالكة لشئون التجارة استحال أيضا نشوء رأسمالية تجارية . ولهذا فقد اضطر التجار الصغار الى الهجرة الى عدن وغيرها من البلدان تماما كما اضطر الكثير من الفلاحين الى مغادرة وطنهم نتيجة للتنافيذ والضرائب العالية والاستغلال البشـع . وحتى الفن الحرفى الذى اشتهرت به اليمن أخـذ يتدهور حتى أصبح فى حالة موات . واضطهد الائمة بلا رحمة وبـكل الوسائل البربرية طموح اليمنيين الى الثقافة والعلم والتقدم ومارسوا ضد الشعب سياسة استبدادية ظالمة

## نفوذ الاستعمار القديم والاستعمار الجديد

كانت رجعية المملكة المتوكلية اليمنية ذات فائدة كبرى بالنسبة للاستعمار البريطانى أتاحت له أن يثبت مواقعه

وأن يمارس سلطانا مباشرا على جنوب اليمن المحتل بعد ان تخلى عنه الامام يحيى . ولم يكن السلاطين والامراء والمشايخ الاقطاعيون فى جنوب اليمن هم الركائز الرجعية الداخلية للحكم الاستعماري فحسب بل كان الحكم المتوكلى الرجعى الاقطاعى فى الشمال أحد أسباب بقائه يضا. ومن ناحية اخرى فان الاحتكارات البريطانية لم تخضع جنوب اليمن المحتل لديكتاتوريتها الاقتصادية فقط بل واخضعت ايضا شمال اليمن

وكما تحول جنوب اليمن الى مستعمرة تحول شماله نتيجة لفقدان المؤسسات والبنوك والموانى الى شبه مستعمرة تابعة من الوجهة الاقتصادية للاستعمار البريطانى .. واكثر من ذلك فان هذا التحكم الاقتصادى فى البلاد قد انعكس أيضا على المستوى السياسى ومارست بريطانيا نفوذا سياسيا معينا على الامامين يحيى واحمد وأثرت على سيادة الدولة ومست استقلالها . وقد تجلى ذلك مثلا خلال الحرب العالمية الثانية حيث املت بريطانيا على الامام يحيى السياسة التى تريدها . وفى عهد الامام احمد اخذ البلاط الملكى يتحول بالتدريج الى مسرح للنفوذ الاستعمارى واخذ النفوذ الأمريكى يكتسح النفوذ البريطانى وبدا أن الاستعمار الجديد يسعى حثيثا فى فرض نفسه فى شمال اليمن خلال صراعه وتنافسه مع الاستعمار القديم ،واصبح للاستعمار الامريكى عملاء مهمون يحتلون اماكن حساسة فى جهاز الدولة . وما كان اعطاء الولايات المتحدة الامريكية امتياز التنقيب عن البترول فى اليمن الا احد مظاهر تغلغل الاستعمار الجديد فى البلاد . وكاد الحكم فى اليمن يتحول الى حكم مزدوج بين الامامة الاقطاعية والاستعمار الجديد

# التركيب الاجتماعي والاقتصادي

يمكن اعادة نشوء المجتمع الاقطاعى فى اليمن الى الفترة التى انهارت فيها الحضارة اليمنية القديمة ذات التطور العالى والى الفترة التى قضى فيها على الدولة الحميرية نتيجة الاحتلال الحبشى عام ٥٢٥ م فلقد قاد هذا الاحتلال البغيض الى انقراض القوى المنتجة ، وفى عهده تهدم سد مأرب نهائيا ..

ان عام ٥٢٥ م يشكل نهاية حقبة تاريخية ، وبداية حقبة تاريخية أخرى، يشكل نهاية الدولة اليمنية والحضارة اليمنية والعربية السعيدة واليمن الخضراء ، وبداية عهد ركود التطور ونشوء علاقات اجتماعية جديدة ذات طابع اقطاعى . وهكذا اخذ المجتمع الاقطاعى يتكون فى اليمن منذ هذا التاريخ

ولقد ساهم الائمة خلال حكمهم فى توسيع وتدعيم الاوضاع الاقطاعية . واكثر من ذلك فانهم كانوا يبتزون أملاك الناس فى اليمن الاسفل ويصادرون قراهم ويمنحونها هبة ومكافأة لقوادهم المشايخ من القبائل الشمالية بحجة أن هؤلاء افتتحوا هذه المناطق أو أخمدوا اعمال المتمردين فيها الخارجين على طاعة الأئمة . أن كلمة « النقائل»

التى تطلق حتى اليوم على بعض القبائل التى استوطنت مناطق فى اليمن الاسفل والتى قدمت مع مشايخهـــا من الشمال ليست فى الاصل الا وصفا لاولئك المشايخ الشماليين الذين أقطعهم الأئمة أراضى وقرى فى الجنوب مقـــابل خدماتهم واخلاصهم ، وهذا لايعنى ان كل الجماعات التى نزحت من الشمال الى الجنوب قد جاءت بقصد اخماد حركات المتمردين على الامام، فقد هرب الكثير منهم نتيجة الاضطهاد التركى الذى كان مركزا فى الشمال . ان جوهر المجتمع اليمنى فى القرن العشرين لم يتغير عما كان عليــه قبل مئات السنين . ان الدولة اليمنية التى اقيمت على انقاض الحكم التركى فى هذا القرن لم تستطع ان تتخطى هذه المرحلة الاقطاعية واحتفظت من حيث الاساس بجميع سماتها . فلقد فرضت مملكة الأئمة على الفـــلاحين ان يقوموا بأعمال السخرة بأدواتهم الخاصة مثل شق الطرق واقامة المبانى التابعة للحكومة وموظفيها وهكذا دواليك. ومن المعروف أن هذا النوع من اعمال السخرة كان سائدا فى المراحل المتخلفة للعهود الاقطاعية . وكان نظام الضرائب القاسى وانتزاع الضرائب العالية عن طريق التنافيذ يمثل أشرس شكل من أشكال الحكم الاقطاعى والاســـــتغلال والاضطهاد الطبقى . ولان الفلاحين فى كثير من الحالات لم يكونوا قادرين على دفع الضرائب العالية فانهم كانوا مرغمين على بيع أراضيهم لكبار الاقطاعيين لكى يسددوا الديـــون المتراكمة عليهم من الضرائب وبهذا كانوا يتحـــولون الى فلاحين فقراء لا أرض لهم . وفى هذه الحالة كان عليهـــم أما ان يعملوا فى ارض الاقطاعى او يهجروا بلادهم للبحث عن مجال آخر للعيش لهم ولعائلاتهم ومن أجـل تسديد الديون المتبقية عليهم . ومن الجدير بالذكر ان الائمـــة

طبقوا أيضا فى اليمن نظام « الالتزام » ، الذى كان يطبقه الاتراك فى ممالكهم بما فيها اليمن فيما يختص بجباية الضرائب . وبمقتضى ذلك كان الشيخ يلتزم بدفع مقدار معين من الضرائب عن منطقته . وكانت الحكومة تضع أحيانا جنودا تحت تصرفه لارغام الفلاحين على دفع الضرائب التى يقسمها عليهم ، وبهذا كان الشيخ يستطيع التخلص من تسليم الضريبة المفروضة عليه حيث كان يوزعها على الفلاحين ويجبيها منهم . ومن ناحية أخرى كان المشايخ الاقطاعيون يعاملون من قبل الحكومة معاملة خاصة ، فقد كانوا متحررين من كل الاجراءات التعسفية التى كانت تتبع ازاء الفلاحين . وأكثر من ذلك فان الحكومة لم تكن تحدد مقدار الضرائب التى ينبغى عليهم دفعها ، وكانت تتركها أمانة لديهم ، وبهذا كان المشايخ الاقطاعيون يحددون مقدار الضريبة بأنفسهم ويدفعونها متى شاءوا

ان هذين الشكلين المتبعين فى جباية الضرائب لا يشيران فقط الى الامتيازات الخاصة التى كان الاقطاعيون يتمتعون بها بل والى واقع انهم كانوا مع الحكومة يمارسون سياسة الاستغلال والاضطهاد ازاء الفلاحين . ان هذه الحقيقة لا يمكن الا أن تقود الى استنتاج واحد ، الا وهو انه كان يوجد فى مملكة الأئمة طبقتان اثنتان : طبقة الاقطاعيين وطبقة الفلاحين ، وان الامر هنا يتعلق بمجتمع اقطاعى ...

ولكن كيف كانت علاقة الفلاحين بالاقطاعيين وفى أى شكل كانت ، وأى مكان كان يحتله الفلاحون والاقطاعيون فى الانتاج الاجماعى ؟ وكيف كانت علاقة الفريقين فيما يتعلق بوسائل الانتاج ؟ وأى دور لعب كل منهما فى عملية الانتاج وفى تنظيم العمل ؟ وما مقدار نصيب كل منهما فى

الثروة الاجتماعية وما نوعه ؟

تلك أسئلة هامة لا بد من الاجابة عليها لمعرفة اى نوع من الاقطاع كان سائدا في مملكة اليمن المسـقطة • ويمكن ايجاز اشكال الاقطاعية فى اليمن فى الاتى :

١ ـ لا يمكن الحديث عن وجود نظام القنانة الاقطاعى كما عرفته شعوب اخرى . كان هناك فلاحون شـبه اقنان لايستطيع الاقطاعى بيعهم او ضربهم . كان الاقطاعى يزرع اراضيه عن طريق فلاحين شبه اقنان وكانت بيوت هؤلاء الفلاحين والبذور وأدوات الحرث والمواشي العاملة ملكا للاقطاعى ، ولم يكن الفلاح شبه القن يحصل على أكثر من ملء بطنه • ومن هنا كان يوصف ب « الشارح »

وكان الاقطاعى يمنح الفلاحين شبه الاقنان قطعا من الارض للاستثمار تحت شروط استعبادية وكان الجزء الخاص للفلاح يشكل الشرط الضرورى للعنـاية بأرض الاقطاعى بقوى عمله . وكان وقت عمل الفلاح شـبه القن يقسم الى وقت عمل ضرورى ووقت عمل زائد ، وفى وقت العمل الضرورى كان ينتج الفلاح ذلك الانتاج الضرورى من أجل وجوده ووجود عائلته ومن أجـل صيانة واصلاح وسائل الانتاج . وفى وقت العمـل الزائد كان ينتج على أرض الاقطاعى ذلك الانتاج الزائد الذى كان الاقطاعى يختص به . وكانت وسائل الانتاج كآلات الحرث والمواشي ، المستخدمة فى الانتاج والبذور ملكا للاقطاعى كما هو الامر فى الحالة السـابقة . وكان الفلاح شبه القن يوصف بـ « المترعوى » أى انه لا يملك أرضا خاصة به

هناك شكل ثالث من أشكال شبه القنانة يتمثل فى واقع أن الاقطاعى كان يعطى الفلاح شبه القن ارضـا

بالايجار وكان بيت الفلاح شبه القن ووسائل الانتاج والبذور ملكا للاقطاعي تماما كما هو الامر في الحالتين السابقتين .. وكان الانتاج الزائد الذي ينتجه الفلاح شبه القن في أراضي الاقطاعي والذي كان الاقطاعي يتملكه يشكل ثلاثة أرباع مجموع الغلة . وفي هذه الحالة كان الاقطاعي يدفع الضرائب

ونظرا لان نصيب الفلاح شبه القن من الغله كان قليلا ولم يكن يكفي غالبا حتى للحفاظ على وجوده ووجود عائلته فانه كان مضطرا للحصول على وسائل عيشه من الاقطاعي في شكل ديون . ان ذلك كان يقوي من شدة تبعيته للاقطاعي

ان هذه الاشكال من أشكال الاقطاعية كانت موجودة في منطقة زبيد بشكل خاص

الا ان حالة واحدة في تهامه كانت تسترعي الانتباه ، فالشيخ الاقطاعي الاكبر في تهامه هادىء هيج كان يزرع أراضيه ليس بواسطة الفلاحين شبه الاقنان فقط بل وبواسطة عبيده الذين كان يستطيع قتلهم وضربهم . الا ان هذا الشكل ليس اكثر من أثر من اثار عبودية سحيقة ونادرا ما يوجد في مكان آخر من البلاد

٢ ـ ان الشكل الرئيسي والغالب للاقطاع في اليمن كان يتمثل في ان الاقطاعيين كانوا يقسمون أراضيهم قطعا ويؤجرونها للفلاحين وكان الفلاحون ملزمين بزراعة أراضي المالك المستأجرة بأدواتهم ومواشيهم الخاصة . وكان مقدار الاجر يبلغ نصف الغلة غالبا ، بينما كانت الضرائب تخصم من كمية الغلة

وكان المالك يستطيع ان يحصل على ثلثي الغلة اذا ما دفع الى الحكومة الضرائب وكان في امكان الفلاح

أيضا ان يحتفظ بالثلثين اذا ما قدم للحكومة الضرائب من جانبه على أساس أن يدفع الثلث الاخر للمالك فى شكل ايجار . وفى بعض الاحيان عندما يكون انتـــــاج الارض شحيحا بحيث يبذل الفلاح طاقة انتاجية كبرى وجهدا عمليا شديدا كان المالك يحصل على ربع الغلة ، فى هذه الحالة بالذات كان الفلاح حرا نسبيا . ومن هنا نشأ وصف الفلاح بـ « الشريك » ان هذا الشكل العام من أشكال الاقطاعية كان ينطبق أيضا بشكل محدود على اراضى العائلة المالكة ، وعلى الاوقاف حيث يكون نصيب الفلاح من الانتاج متعلقا بالظروف السائدة فى كل منطقة على حدة ..

والى هذا الشكل من أشـــكال الاقطاع يمكن ان نرد أيضا ما يسمى بـ « علاقة الضمان » فبمقتضى هـذا الشكل الاقطاعى كان المالك يعطى الفلاحين أرضـــــا للاستثمار بالايجار على أساس مقدار معين من الغلة محدد سابقا ولوقت معين أما سنة او سنتين او اكثر ومن هنا كان الفلاح يوصف بـ « متقبل » . والارض التى تبقى فى حوزة المالك والتى لا تشكل الا جزءا من أملاكه كانت تفلح بواسطة « شقاه » أى عمال ، حين البذار ووقت الحصاد ، وكان اجر « الشاقى » يتراوح بين ربع ريال وثلاثة من ثمانية من الريال مع وجبة واحدة فى اليوم . وكانت « الصوافى » التابعة للعـــائلة المالكة والاوقاف التابعة للحكومة تزرع من قبل أجراء زراعيين غالبا

ان كل هذه الاشكال تظهر جليا استغلال الفلاحين من قبل الاقطاعيين وأصحاب الاملاك

ومن هذه الاشكال مجتمعة يمكن استنتاج تعريف عام ، الا وهو ان المجتمع اليمنى كان يقوم على أساس علاقات

الانتاج للمجتمع الاقطاعي ، وعلى أساس ملكية الاقطاعيين للارض والزراعة وعلى أساس تبعية المنتجين ذات الاشكال المتنوعة للاقطاعيين

لم تكن طبقة الاقطاعيين كلا وحدا . فقد كانوا يقسمون الى اقطاعيين كبار ومتوسطين وصغار ٠ فهنـــاك حيث الاراضي الخصبة الواسعة مثل تهامة ولواء أب وتعـــز أمكن نشوء اقطاعيـــات كبـــيرة ٠ وكان هادى هيج يملك أكبر الاقطاعيـــات في اليمن كلها ولهـــذا كان اكبر اقطاعي في البلاد . ومن هنا فان الامـــام يحيى

منذ تم انتزاع تهامه من يد الادارسة عام خمسة وعشرين وتسع مائة والف « ١٩٢٥ م » عينه عاملا على منطقته الزهرة ، ومنحه امتيازات اقتصادية وسياســية فكان الحاكم الحقيقي في هذه المنطقة . وكان ميناء اللحية تحت تصرفه يستغله في الاستيراد والتصدير . كذلك كان يوجد في تهامه وتعز واب اقطاعيون كبار ففي سردود مثـــلا بلغت مساحة الملكية الاقطاعية لفرد واحد ٥٠٠٠ هكتار

كانت العائلة المالكة تعد من فئة الاقطاعيين الكبار ، وكانت اراضيها منتشرة في لواء تعز واب وتهامه والجوف وفي الشمال والشرق . وتقدر الصوافي والاوقاف بعشرة في المائة من الاراضي المنزرعة . وتقدر الاراضي التابعـة للاقطاعيين الكبار والمتوسطين في تهامة بأربعين في المائة.

ان الاقطاعيين الكبار والمتوسطين والصغار في تهامه والذين يقدرون بعشرة في المائة من مجموع السكان يملكون معظم الاراضي المنزرعة في تهامه . وحوالي خمسين في المـائة من الاراضي المنزرعة في لواء اب وتعز والهضبة الوسطى تعد ملكا للاقطاعيين

يمكن تقسيم الفلاحين الى اغنياء ومتوسطين وصـغار

وفقراء ..ان الملكية المتوسطة والصغيرة الفلاحيــة هى الشكل الغالب فى البلاد . ويبلغ عدد الفلاحين الفقراء حوالى عشرة فى المائة من مجموع الفلاحين ، ان الفلاحين جميعهم كانوا يشكلون السلم الذى يقف عليه الاقطاعيون .. وقد كانوا من ناحية خاضعين لجبروت الاقطاعيين ،

ومن ناحية اخرى كانوا واقعين تحت رحمة السـلطة العليا ، سلطة الاقطاعى الكبير وممثل النظـام الاقطـاعى الا وهو الامام . وتحت هذه الظروف كان الفلاحـون طبقة مضطهدة مسـتغلة ، ومحرومة من الحقـوق السياسية ..

ومع أن الامام كان حاميا وممثلا للنظام الاقطـاعى فانه لم يكن يعتمد فى حكمه الا عـلى فئـة معينة من الاقطاعيين الذين كانوا نوابا له على الالوية او عمـالا على القضوات والذين كانت تتشكل منهم الحكومة والجهـاز البيروقراطى وقواد الجيش ، وتلك هى الفئة الكهنوتيـة الاقطاعية المشكلة من حفنة من السادة والقضاة الزيديين المتشبعين بنظام الامامة الرجعى ..

بهذه الطريقة عمق الامام يحيى ومن بعده احمـد التفرقة الطائفية والعنصرية فى البلاد

الا أن هذه السياسة الغبية اصبحت أحد اسـباب نهاية الحكم الامامى ، اذ ان خصوم الامـام السياسيين اصبحوا يمتدون على جبهة واسعة عريضة لا تشـمل طائفة الشوافع والاسماعيليين فقط ، بل وقطـاعا واسعا من الزيديين والهاشميين . وأكثر من ذلك فان طبقة الاقطاع عدا الفئة العليا منها ــ السابقة الذكر ــ وعدا بعض رؤسـاء القبائل المرتبطين بقوة اجنبية وجـدت نفسها أيضا فى المعارضة بقطع النظر عن انتسابهـا

الطائفي والعرفي . ولهذا فان هذه الطبقــة قد آزرت الثورة نسبيا وايدت القضاء على نظام الامامه ورحبت بأقامة النظام الجمهوري مكانها

## التركيب الطائفي والفئوي

---

لفهم المشــكلة الاجتمــاعية اكــثر فانه من الضروري التعــرف ليس على التركيب الطبقي فحسب وانما على التركيب الطائفي ، والفئوي . فكمــا أن المجتمع اليمني ينقسم الى طبقتين رئيسيتين : هما طبقة الاقطاع المستغلة وطبقة الفلاحين المستغلة ، فانه ينقسم أيضــا من ناحية الاعتقـــاد المذهبي الى ثلاث طوائف ، طائفة الزيديين ، وطائفة الشوافع ، وطائفة الاسماعيليين ، وحسب تقديرات قديمة فان عدد الزيود يبلغ ٥٥ في المائة من سكان البلاد ، ويبلغ عدد الشوافع حوالي ٤٥ في المــائة من الســكان ، بينما يقدر عدد الاسماعيليين بحوالي ٥٠٠٠٠ شخص . ويسكن الزيود في الهضبة الوسطى من اليمن ، ويستقر الشــوافع في جنوب البــلاد وغربهــا في حين يقطن الاسماعيليون في منطقة حراز غرب صنعاء . وعلى مدى التاريخ لم يعترف لا الشــوافع ولا الاسماعيليون بالامام كقائد سياسي لهم ، لانه لم يكن زعيمهم الروحي . ولهـذا فان الامام لم يعتمد في حكمه حتى على الاقطاعيين منهم ، وكان جهاز الدولة يتشكل من الاسر الاقطاعية الزيدية ، واذا جاز التشبيه فان الكنيسة الاقطاعية ممثلة في رجال الدين الزيديين ذوي الاملاك الاقطاعية كانت هي الحاكمة مع الامام ، بالاضافة الى العائلات الاقطاعية من السادة التي كانت تشكل الاساس الكنسي الاقطاعي للحكم ، فلم تكن طبقة الاقطاع تمارس الحكم مبــاشرة وانما تمارسه

عنها الفئة الاقطاعية العليا من رجال الدين الزيود سادة وقضاة ، وهى الفئة التى كانت تتمتع بامتيازات دينية وطائفية ، واجتماعية واقتصادية ، وسياسية . ان هذه المكانة المتميزة ، والسلطة الخاصة التى كرست فى يد الكنيسة الاقطاعية الزيدية قد بررها نظام الامامة الذى يشكل القاعدة الايديولوجية والسياسية لملكة الائمة المسقطة

غير أنه بقطع النظر عن العدد المحدود من العائلات الاقطاعية ذات النسب الهاشمى ، فان السادة كانوا يتمتعون باحترام خاص بين السكان اليمنيين سواء كانوا زيديين أو شوافع . وقد اكتسبوا هذا الاحترام نظرا لانهم كانوا ايضا معروفين بأنهم حملة التعاليم الدينية ومرجع القبائل والافراد فى حل الخلافات بينهم ولاسيما فى تلك الاوقات التى لم تكن فيها سلطة مركزية تتولى البت فى حل هذه الخلافات والمشاكل . لهذه الاسباب فأن فئة السادة كانت تحظى بمكانة خاصة فى المجتمع اليمنى . غير ان هذه المكانة مرتبطة بوجود العلاقات الاقطاعية المتخلفة وما ينجم عنها من تخلف عام ، وستختفى هذه المكانة الخاصة مع اختفاء هذه العلاقات ، ونشوء علاقات جديدة مكانها بقيم شعبية ديمقراطية

كذلك فان فئة القضاة كانت تحتل المكانة الثانية بعد فئة السادة بحكم مشاركتها فى حمل تعاليم الدين ، وحل مشاكل الجماعات والافراد . وبالتطور الاجتماعى والثقافى تختفى كذلك مكانتهم المتميزة

هناك فئات اجتماعية أخرى داخل المجتمع اليمنى . وتشكل قبائل البدو احدى هذه الفئات ، فهذه القبائل التى تقطن فى السهل الشرقى من حول مأرب ، وفى شماله

ما تزال تحتفظ من حيث الاساس بالسمات العامةلعادات البدو وطرق حياتهم . غير أن وضعهم يختلف بوضوح عن وضع بدو نجد . فبعد قيام دولة اليمن على انقاض الحكم التركي وبعد اخضاعهم للسلطة فى صنعاء كانوا مضطرين لايقاف غاراتهم وغزواتهم ضد القبائل الاخرى ولأن يكتفوا بالاشتغال بتربية ورعى جمالهم ومواشيهم ، وبزراعة قطع الاراضى الصغيرة التى تجود بها الصحراء بالذرة ، والحبوب الاخرى ، وبالذات فى أوقات الأمطار ، وبنقل الملح من جبل صافر الواقع شرقى مأرب الى انحاء مختلفة من البلاد على ظهور قوافلهم ، وتحويله الى مادة للاتجار يشترون بثمنها وسائل عيش اخرى . وكغيرهم من القبائل كانوا مضطرين بعد قيام دولة الائمة وبعد الحد من نفوذهم القبلى لان يقدموا رهائن للامام كدليل على السمع والطاعة . أكثر من ذلك فقد كانعليهم أيضا أن يدفعوا ضرائب . ولقد كانت قبائل البدو تسكن فى القرى المبنية من الطين أو الحجارة ، وفى بقايا حصون ومدن قديمة مهدمة ، وفى الخيام . وما تزال تحتفظ هذه القبائل بطباع وتقاليد بدوية قوية . فهم ما يزالون يحتقرون الى هذا القدر أو ذاك المزارعين من الفلاحين ، وأهل المدن ، أى ذلك القطاع من السكان الذين أصبحوا مستقرين فى الارض ، ومستقرين فى المدن، ولقد كانوا يتوجهون حسب العرف القبلى القديم أكثر مما يتوجهون حسب التعاليم الزيدية التى أراد الامام تطبيقها عليهم أيضا

من هذا العرض يتضح انه لم يكن هناك فى اليمن رعاة مواشى خلص ، ولا رحالة خلص ، وانه لم تعد هناكغارات نهب أو اغتصاب وهى التى تشكل بالنسبة للبدو المصدر

الرئيسي للكسب والارتزاق ، ولم يعد الناس يسكنون كلهم في خيام · ولا يعود هذا التطور في طريقه حياة القبائل البدوية الى قيام الدولة اليمنية الحديثة فحسب وانما الى واقع أنه هنا في السهل الشرقي من اليمن وفي شماله قامت حضارة يمنية قديمة احتفظت بآثارها

وبقاياها على مدى التاريخ . أن الاستنتاج الذي يخرج به المرء من استعراض أوضاع قبائل البدو هو انه لايوجد الا القليل منهم ممن يعتبرون بدوا ورحالة بكامل السمات، أما الغالبية فهم شبه بدو ، شبه مستقرين ، شبه رحالة، وهم يحتفظون في نفس الوقت بتقاليد وطباع بدوية قوية

ويمكن اعتبار ذوي الحرف اليدوية وذوي المهن الاخرى فئتين اجتماعيتين أخريين ، فهنا تسود ظروف مهنية خاصة ، وعلاقات اجتماعية مقفلة · وقد كانت الحرف اليدوية والمهن الاخرى وراثية ، وفنها ينتقل من الاب الى ابنه ، فكل الذين يمارسون مهنة واحدة يشكلون جماعة تشبه في أوضاعها المقفلة ، أوضاع الطوائف الاجتماعية التي عرفت في القرون الوسطى الى حد انه لا يسمح بالتزاوج بين أبناء أصحاب المهن المختلفة ، فمثلا لا يستطيع جزار أن يتزوج ابنة خياط . غير أن جميع أصحاب الحرف اليدوية أو المهن الاخرى ما يزالون محتقرين من وجهة نظر البدو ، والفلاحين ، وسكان المدن من الموظفين . وتتشكل فئة الحرفيين من صاغة الفضة والنحاس والسلاح «الجنابي مثلا » ومن النجارين، والنساجين ، وتشمل فئة المهن الاخرى الجزارين ، والدباغين ، والحلاقين والحجامين وغيرهم . وقد كانت هذه الفئة ادنى مرتبة من مرتبة فئة أصحاب الحرف اليدوية والسؤال هو لماذا وكيف نشأ مثل هذا الترتيب ·

ولماذا كانت كلتا الفئتين فى موضع محتقر بالنسبة للسكان اليمنيين عامة وما هو المقياس الاجتماعى لذلك ؟

وقد أثارت هذه الظاهرة اهتمام مؤلف ايطـالى ، وفى تفسيرها كتب : « لا توجد هناك قوانين لتنظيم العلاقات الفردية بين الافراد ضمن جماعة طائفة واحـــدة ، كمـا لا توجد مثل هذه القوانين لتنظيم علاقات كل طائفة مع الاخرى ، كلها عائدة الى تقاليد قديمة ، أو أنها تعود على أحسن قول الى ضمير كل فرد ، والى أنها اقتناع مقدس بلغ مرحلة النضج نتيجة عادات متأصلة وعميقة فى البشر. ووضعية الامور هذه قديمة ، أقدم أيضا من الاسلام فى بلاد العرب ، ويبدو كذلك أن المرء يستطيع أن يعيد أصلها الى المرحلة السبأية ، وذلك يعنى أن هذا هو الشـــكل الاقدم للنظام الفئوى القائم الذى استطاع أن يبقى خلال مئات السنين . » غير أن هذا التعليل ذاتى لم يســـتطع أن يكتشف الاساس الموضوعى والحقيقى لهذه الظاهرة . وفى الكتابات العربية يقرأ المرء كثيرا بأن : « العرب يحتقرون كل من يشتغل بالصناعة « الحرف اليدويه » .. ولهذا تعير العرب الحكاك أو الصائغ . ولكن العـــرب « تعظم صاحب التجارة والغـزو ، والابالة أى رعاية الابل . » غير ان السؤال يبقى مع ذلك دون جواب ، اذ ما السبب فى احتقار الحرفيين ، واحترام التجـــار ورعاة الابل ؟ وتكتسب المسألة أهمية أكبر عندما يضع المرء نصب عينيه واقـع أن الحرفيين يمثـلون قوة انتـاجية كبرى بحيث لا يوجد أى تعادل بينهم وبين التجار ورعاة الابل

ويبدو لى أن الاحتقار ينجم ضد الحرفيين لانهم يمثلون لحظة جديدة فى علاقات الانتـاج وبداية لنشـــوء نظـام اجتماعى جديد ــ نتيجة للانقسام الثانى للعمل الاجتماعى

ـ ( مزارعين ـ حرفيين ) . وذلك ينطبق على الفلاحين الذين كانوا يحتقرون من قبل البدو نظرا لانه تسود هنا العلاقة ( رعاة ابل ـ مزارعين ) نتيجة للانقسام الاول للعمل الاجتماعى . وكما ان المزارع بالنسبة للبدوى الذى يعيش طراز حياةمختلف يعتبر غريبا ولهذا محتقرا أصبح الحرفى الان غريبا ومحتقرا كذلك من قبل الفلاحين وغيرهم من السكان الذين يعيشون تحت شروط انتاج أخرى ، والتصورات التى تكون لدى هذه الجماعات الثلاث ( رعاة الابل ، المزارعين ، الحرفيين ) عن نفسها وعن بعضها البعض تعكس فى الواقع أسلوب الانتاج الخاص بكل منها . ويحتقر أسلوب الانتاج الخاص بهذه الجماعة أو تلك من قبل أى من هذه الجماعات لسبب واحد فقط وهو أنها لم تألفه بقطع النظر عما اذا كان أكثر انتاجية أم لا . وفى ظل أسلوب الانتاج ذى العلاقات الانتاجية الاقطاعية أصبح العمل الحرفى يشكل عنصرا حركيا فى الانتاج وبدأ يدخل فى تناقض مع علاقاتالانتاج القديمة غير المتحركة . ذلك يجب أن يكون هو السبب فى أن الحرفيين كانوا يحتقرون من قبل المزارعين وغيرهم من السكان ولو لم يكن هؤلاء على وعى بدوافع هذا الاحتقار .

وكان الحرفيون يحترمون أكثر من أصحاب المهن الاخرى كالجزارين والحجامين والدباغين والحلاقين نظرا لانهم كانوا يقدمون عملا مبدعا ، وانجازا يخدم المجتمع كثيرا ويعطيه قوة انتاج جديدة ، ويطلقه فى طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى

ولم يكن الحال كذلك بالنسبة للجزارين والحجامين والحلاقين الذين لم يكونوا يشبعون غير الحاجات الذاتية

للاشخاص ، والتقدير المتفاوت ازاء كل جماعة مهنية لم يكن ينبع من وعى الافراد بقدر ما كان ينبع من الضرورة الاجتماعية

وفى اليمن توجد أيضا فئة محتقرة جدا من قبل السكان ، وهى فئة الاخدام . وليس هناك رأى موحد حول أصلهم ، فهناك مؤلفون يمثلون الرأى القائل بأنهم خليط من عنصر حبشى فارسى تضاعف عدد أفراده عن طريق النيجر والعبيد القادمين من افريقيا ، أو انهم خليط من الاحباش والعرب . وقبل البحث عن أصل الاخدام ينبغى تصوير وضعهم الاقتصادى والاجتماعى حتى يمكن استخلاص النتائج منه . فالاخدام الذين يتميزون عن العرب اليمنيين بلونهم الاسود لا يسمح لهم لا بامتلاك الارض ولا بالعمل على أرض الملاك الزراعيين كعمال اجراء . ونادرا ما يجوز لهم تعاطى تجارة محلية بدائية ، وأن يكونوا حلاقين ، أو جزارين او طباخى لحوم او قهوة فى الاسواق الاسبوعية المحلية . وهم يعملون احيانا كحجامين ، وختانين ، وغالبا مايخدمون كحمالين أو عمال موانىء او يمارسون خدمة ممتهنة

ولانه لم يكن هناك مصدر ثابت للعيش فقد كان الاخدام يتنقلون من مكان الى آخر سعيا وراء الرزق ، وكانوا مضطرين لتوفيره للالتجاء الى السرقة ، اذ لم يكن الاجر الذى يتقاضونه مقابل القيام بخدمات بدائية كافيا للحفاظ على حياتهم الخاصة ، ومن هنا كان وضعهم شديد الصعوبة . فقط فى مناسبات كالاعياد كان يجوز لهم اللعب على دفوفهم لاطراب العرب وهم يرقصون . ولم يسمح للاخدام بالسكنى فى مدن وقرى العرب ، وانما كانوا يقيمون فى أحياء خاصة معزولة

لم يكن الاخدام عبيدا ، وانما هم أناس أحرار ، غير ان العبيد كانوا يعاملون من قبل العرب اليمنيين معاملة أرق من معاملة الاخدام ، ويقدرون اكثر منهم ..

والآن كيف يمكن تعليل هذا الواقع ؟ ليس بسبب لونهم الاسود كان الاخدام موضع احتقار عميق من العرب ذلك لان العبيد كان لهم نفس اللون ، وفي بعض الاحوال كان لونهم أشد سوادا من لون الاخدام ، ومع ذلك كانت لهم منزلة أعلا في المجتمع اليمنى عن منزلة الاخدام على الرغم من أن هؤلاء كانوا أحرارا . فلماذا يعيش الاخدام في اليمن عيشة « المنبوذين » ؟ يبدو لى ان السبب في ذلك لا يعود الى الاخدام الحاليين ، وانما الى اجدادهم القدامى من الاحباش الذين احتلوا اليمن قبل الاسلام وساهموا بقدر كبير فى طمس الحضارة اليمنية القديمة ، والذين اساءوا معاملة اليمنيين ايضا . من ذلك تتضح ايضا الكراهية الشديدة التى تملكت اليمنيين عندما أتيح لهم بمساعدة الفرس التطويح بهم من اليمن عام ٥٧٥ م . لم يفتك اليمنيون بالاحباش فقط ، وانما عاملوا الذين بقوا فى اليمن انتقاما منهم باحتقار ، وجعلهم سيف بن ذى يزد « فى قلة وذلة واتخذهم خولا » ، وقد استمرت كراهية اليمنيين واشتدت أكثر عندما حاول الاحباش الذين بقوا فى اليمن وأطلق عليهم اسم « النجاحيين » - لاستيلاء على السلطة فى اليمن بين عام ١٠٢١ - ١٠٦٠ وبين عام ١٠٨٠ - ١١٣٧ ، ولهذا الغرض استقدموا نجدات من أثيوبيا ..

فالاحباش الذين لم يظهروا الا كمحتلين وغزاة لم يكسبوا الا حقد وكراهية اليمنيين وعلى الرغم من أنهم بقوا فى اليمن مئات السنين وكان منهم النبلاء فى بعض

الفترات فان اليمنيين لم يكونوا ينظرون اليهم الا كعناصر غريبة ، ولم يستطيعوا أن يضربوا بجـــذورهم فى باطن الارض اليمنية

ان الحالة الرديئة التى يعيشها الاخدام اليوم والذين هم ليسوا الا من سلالة الاحباش الذين بقوا فى اليمــن يمكن اعادتها الى هذا الواقع التاريخى • غير أنــــه لا الاخدام ولا اليمنيون يعون اليوم السبب الحقيقى فى أن الاخدام يحيون حياة تعسة فى اليمن ، وفى أنهم موضع احتقار العرب اليمنيين • لقد انتقلت روح الـــكراهية والاحتقار للاخدام من جيل يمنى الى آخر . وظلت عادة عميقة ومتأصلة فى نفوس السكان اليمنيين . وذلـــك هو السبب العميق فى أن الاخدام يعيشــــون اليوم على هامش النظام الاجتماعى والحياة فى اليمن

ان هذا الوضع المحزن لا يمكن ان يتغير الا بالتدريج، وبالذات عندما يبدأ تصنيع البلاد ، والا عندما يســاهم الاخدام الذين يشكلون فى الواقع قاعدة تحتية للطبقــة العاملة كاحدى قوى الانتاج فى الانتــاج الصناعى وفى تطوير اليمن •• مشاركة بعضهم اليوم فى أعمـــال الموانىء ببشر بامكانية تغيير وضعهم الاقتصـــــادى والاجتماعى ، وبالتالى يحتم تغيير نظرة الناس الاخلاقيــة اليهم ، وبرفعهم الى مستوى أن يكونوا احدى القـــوى الاجتماعية المساهمة فى بناء مجتمع يمنى جديد يتمتــع جميع ابنائه بالحقوق المدنية والوطنية الديمقراطية ••

وكان اقتناء العبيد فى مملكة اليمن المسقطة مباحا ، ذلك لان الامام يحيى لم يوقع الاتفاقيات الدولية المعقودة عام ١٩٢١ وعام ١٩٣٣ حول منع الاتجار بالبشر. والعبيد الذين كان يؤتى بهم الى اليمن للبيع كانوا ينحــدرون

بالدرجة الاولى من وسط أفريقيا ، وكانوا يهـــربون فى جماعات عبر البحر الاحمر الى اليمن والى أجزاء أخـرى من الجزيرة العربية . غير أنه لم تكن فى اليمن ســوق عامة للنخاسة . وكان بيع وشراء العبيد يتم بهـدوء فى أوساط الاقطاعيين والمشايخ ، وبصورة خاصة مشـــايخ تهامة . وكان الامام شخصيا يقتنى مجموعة من العبيد . غير أن ملكية العبيد لا تعنى انه كان هناك نظام استعبادى فى اليمن . فالعبودية كمرحلة تطور اجتماعية كانت موجودة فى اليمن قبل الاسلام ، وان اتخذت سمات خاصة هنا. وعدا العبيد الذين كان يملكهم الشيخ الاكبر هادى هيج فان العبيد الذين كانوا موجودين فى مملكة الائمة المسقطة لم يكونوا يشكلون قاعدة للانتاج المـادى . فقـد كانوا مساعدين وحاشية لسادتهم أكثر منهم مادة اقتصـــادية للاستغلال ، وكانوا يصحبون سادتهم المشايخ والامراء لاظهار الابهة كما كانوا مسئولين عن حماية سادتهم من التعرض لأى خطر . والعبيد الذين كانوا يحظون بمكانة خاصة لدى سادتهم كانوا مخلصين لمالـــكيهم بالطبع . « فالامير عنبر » وهو أحد عبيد الامام يحيى كثيرا ماجنب سيده وعائلته الكثير من الاخطار . ان هـــذا النوع من العبودية البيتية التى تسود فيها علاقة الارتباط بالسيد والتى تختلف عن العبودية الاجتماعية التى تتميز بوجود علاقة من العداء والصراع الطبقى بين السادة والعبيد قد شلت روح التطلع الى الحرية لدى العبيـــــد فى اليمن ، وافقدتهم الاحساس باضطهاد سادتهم لهم ، وفصلتهم عن حلفائهم الطبيعيين ، وبالاخص الفلاحين المرتبطين والمستغلين من قبل المشايخ الاقطاعيين . على أنه بعد قيـــام الثورة اليمنية ألغيت تجارة الرق نهائيا فى اليمن ومحيت وصمة

من وصمات العهد البائد الذى كان يبيح الاتجار بالناس
على أن الفئة التى كانت محتقرة بعمق وبالاجماع من قبل كل السكان هى فئة اليهود اليمنيين . اذ لم يسمح لهم بالسكنى الا فى احياء معزولة خاصة ، ولم يسمح لبيوتهم ان ترتفع أكثر من طابقين ، كما لم يجز لهم امتلاك الاراضى وفى الحالات النادرة التى كانوا يمتلكون فيها كانت أراضيهم تزرع من قبل العرب اليمنيين وكان يحرم عليهم ركوب الخيول ، ولا يحق لهم غير استخدام الحمير ، كما لا يحق لهم حمل السلاح .. وكان عليهم ، تمييزا لانفسهم انزال السوالف من حول اصداغهم ، وكان من الواجب عليهم دفع الجزية مقابل حمايتهم كذميين ، ولم يكن احتقار اليهود وكراهيتهم تعود فقط الى اعتناقهم دينا آخر غير الدين الاسلامى وانما أيضا لان اليهود كانوا يحتكرون مع الامام تجارة البلاد . كل تجارة البلاد تقريبا كانت فى أيديهم من بيع الملابس القديمة الى استيراد الملابس اليابانية الجاهزة من عدن بحيث انه كان يوجد فى صنعاء مليونيرات من التجار اليهود . وقد كان نظام الضرائب ملائما بالنسبة لهم فبينما كان يتحتم على التاجر اليمنى أن يدفع ضرائب تنلسب دخله فان ماكان يدفعه أغنى تاجر يهودى يقارب ماكان يدفعه أفقر يمنى . ولم تكن فى أيدى اليهود التجارة فحسب ، وانما معظم الاعمال الحرفية ، فكل صاغة السلاح ، والنحاس والفضة ، والذهب ، وكل محترفى التجارة ، والنسيج ، وصانعى الاحزمة ، والشالات ، والجلود ، والجزم ، وكذلك اسطوات البناء ، كانوا كلهم تقريبا من اليهود ..

وبعد اخراج اليهود من اليمن على اثر نكبة فلسطين

أصبحت تجارة اليمن حكرا على العائلة المالكة ووكيلها المليونير على محمد الجبلى ، مما عاق نشوء برجوازية تجارية متطورة فى البلاد

وعدا التجار اليمنيين الكبار الذين استقروا فى عدن وتطورت تجارتهم هناك فان التجار المحليين داخل البلاد لم يستطيعوا أن يكونوا رؤوس اموال ترفعهم من منزلة التجار الصغار

من هنا فان البرجوازية التجارية الصغيرة ولا سيما العناصر الواعية منها لمصلحتها والطموحه سياسيا ، والساعية الى كسر احتكار الامام للتجارة ، والى تطوير رأسمالها فى حرية ودون خوف ، قد لعبت دورا مرموقا فى التحضير للثورة ، وفى ادخال السلاح وجمع المال لتفجيرها ، وكانت العنصر المساعد للضباط من أجل اشعالها ، ومن هنا يصبح طابع الثورة الاجتماعى مفهوما والاساس الطبقى لقيامها متوافرا ولو فى شكل أولى

أن تغيير التركيب الطائفى ـ والفئوى ، والقضاء على روح الاستعلاء الطائفى والعنصرى والفئوى، وخلق روح وطنية ديمقراطية ، وايجاد امكانيات حقيقية لانطلاق قوى انتاجية جديدة وعلاقات انتاج متفتحة ، وتفتح آفاق رحبة للنمو والتطور الزراعى ، والتجارى والصناعى ، ونشوء مفاهيم وقيم اخلاقية متطورة ، كل ذلك متوقف على القضاء على التركيب الطبقى الحالى .. على تغيير التركيب الاقتصادى والاجتماعى الراهن .. متوقف على تغيير علاقات الانتاج الاقطاعية وعلى القضاء على الملكية الاقطاعية .. على المجتمع الاقطاعى بكل ملامحه القبلية والاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ..

# الثورة والثورة المضادة

---

فى الـ ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ م اندلعت الثورة اليمنية التى انتظرها الشعب طويلا وكافح من أجلهـا ثلاثين عاما ، وسقط جدار العزلة الرهيب الى الأبد ، وخرجت اليمن من عالم النسيان الى عالم الوجـــرد ان الانفجار الثورى الذى حدث يوم ٢٦ من سبتمبر قد قفز باليمن الى مركز الاحداث العالمية

ان الثورة اليمنية تشكل فصلا حاسما فى تاريـــخ الكفاح البطولى للشعب اليمنى ولا يمكن .مقارنتهـــــا بالانتفاضات التى لا تحصى والتلقائية التى حـــدثت فى الماضى ضد الطغيان الداخلى والخارجى .. انها قفـــزة تاريخية كاملة وتحول سياسى نوعى وجذرى فى تاريخ اليمن كله

ولهذا فقد هبت فى وجه الثورة اليمنية ثورة مضادة، وتحولت اليمن الى مسرح حرب اهلية طاحنـــــة ضروس بين القديم والجديد ، بين قوى التقدم وقـــوى التأخر بين انصار الجمهورية والثورية وانصـــــــار الامامة والرجعية ، بين قوى وعت حركة التاريخ والتطور وقوى ما تزال غارقة فى ظلام الجهل والبداوة ، بين قوى تطاب المستقبل وقوى تتمسك بالماضى . لقـــد آزرت الثورة الاغلبية الساحقة من الشعب اليمنى ولـم تقف ضدها سوى القوى المرتزقة التى تدافع عن الامامة ليس لتعلقها بها بقدر ما دافعت عنها لحصولها منهـــا على المكسب الرخيص والغنيمة . لقد اوحى الامام المخلوع الى بعض القبائل بأنه فى امكانها أن تشن الغارات على المدن وتستبيحها كما كان يفعل أبوه من قبل ، وأكثر من ذلك

فانه وضع فى ايديها السلاح وملأ جيوبها بالذهب والفضة التى زودته بها قوى اجنبية ، واندفعت هذه القوى المرتزقة تحارب الثورة فى عمى وجهل

## من الثورة المضادة الى الحرب الاستعمارية

لو كان الصراع الذى دار فى اليمن قد اقتصر على الموالين للجمهورية والموالين للأمامة لهان الامر ولكان فى الامكان ان تمتص قوى الثورة المضادة فى أمد من الزمن غير طويل ، غير أن الحرب الاهليه فى اليمن طال أمدها نتيجة للمدد والتحريض الخارجى الذى قدمته وقامت به الرجعية العربية المدعمة من الاستعمار • وعندما تدخلت القوى الاستعمارية علنا وعلى رأسها الاستعمار البريطانى والامريكى جنبا الى جنب مع الرجعية العربية بالسلاح والمال ، والخبراء العسكريين والمرتزقة الاجانب الذين كانوا يحاربون فى الفرقة الأجنبية فى الجزائر تطورت هذه الحرب الى حرب استعمارية ضد اليمن وضد الثورة اليمنية حيث اجتمع عليها خصوم اقوياء تمتد جبهتهم من اقصى شمال الجزيرة الى اقصى جنوبها ، وضرب حزام نارى على اليمن وبدأت عمليات الغزو المسلحة وتدفقت أسلحة حلف الاطلسى وجنوب شرقى آسيا والحلف المركزى وحتى أسلحة الصهيونية ، ووزعت على المتمردين ، وملئت جيوبهم بالاموال وفتحت الجبهات على الجمهورية اليمنية الفتية من صعدة وحرض فى الشمال ومن الجوف ومأرب وحريب بيحان من الشرق ونظمت حركات التمرد على طول الهضبة الوسطى • وهكذا تجلى أن الاستعمار يريد اغراق الجمهورية اليمنية والثورة فى طوفان من الدم

## دور الجمهورية العربية المتحدة

كل ثورة من الثورات الوطنية واجهت تدخل المستعمرين ومؤامراتهم بهذا الشكل أو ذاك وكل ثورة من هذه الثورات تلقت المساعدة الخارجية النزيهة لمواجهة الدول الاستعمارية والرجعية • حدث ذلك بالنسبة للثورة المصرية والثورة العراقية وغيرهما من الثورات الوطنية • ولكن لم يواجه بلد من البلدان العربية التى قامت بالثورة مثل ذلك التدخل الاستعمارى السافر الذى تعرضت له الثورة اليمنية منذ أيامها الاولى • وتحت تلك الظروف الحربية البالغة الصعوبة التى واجهتها الجمهورية العربية اليمنية ما كان لها أن تواجه حربا شاملة متعددة الجبهات بقواها وحدها وهى ما تزال وليدة وكان لا بد من سند عربى للثورة يقابل السندالاستعمارى والرجعى الخارجى لانصار الثورة المضادة ، كان لا بد أن تتضافر قوى التحرر العربية للانتصار للثورة اليمنية ولالحاق الهزيمة بقوى الرجعية والاستعمار • ولقد لبت الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة ولبى رئيسها الشهم المقدام نداء الثوارفى اليمن ،وأرسلت فى البدء قوات رمزية وعندما اتسع نطاق الحرب قذف الى جبال اليمن ووديانها بحوالى سبعين ألفا من الرجال الاشداء حيث دارت المعارك الطاحنة التى استمرت خلال الاعوام الثلاثة الماضية • وها هى الحرب تنتهى بانتصار قوى الثورة العرابية ، وبهزيمة

الاستعمار والرجعية ، ان الدور الذى لعبته الجمهورية العربية المتحدة في حرب اليمن لا يشكل فقط صدا لعدوان خارجى على أرض بلد شقيق ، وتمكينا له من ممارسة حقه في التحرر ، وانما هو أكثر من ذلك أول صدام فعلي وفي أعنف وأروع صورة بين قوى الثورة العربية من جهة وبين قوى الاستعمار العالمي الذى يصر على تعطيل حركة الثورةوالقومية العربية منجهة اخرى ٠٠ولقد أثبتت الجمهورية العربية المتحدة باشتراكها المباشروالفعال فى معركة اليمن أنها قاعدة الثورة العربية التى تستند اليها كل ثورة عربية تحررية بثقة واطمئنان وأنها طليعة الثورة العربية التى تهب لنجدة ودعم كل حركة ثورية عربية بكل قوتها ٠ ان الدور التاريخى الذى نهضت به الجمهورية العربية المتحدة فى مؤازرتها للثورة اليمنية لا تقتصر آثاره على دعم ثورة اليمن وانما هو يمتد ليشمل حركة التحرير الوطنى فى جنوب اليمن المحتل ، وتتضح أبعاده الواسعة أكثر فى زعزعته لانظمة الحكم الرجعية والاستعمارية فى جزيرة الاحتكارات والبترول وفى احداثه يقظة وطنية عامة على نطاق الجزيرة كلها

## الثورة اليمنية والموقف الدولى

وكما وقف الى جانب الرجعية اليمنية كل قوىالرجعية والاستعمار فى العالم فقد وقف الى جانب الثورة اليمنية كل قوى التحرر والتقدم فيه ، وهكذا انشطر العالم ازاء الثورة اليمنية الى قسمين : الشرق مع الثورة اليمنية والغرب ضدها ، حركة التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية مع الثورة ، والرجعية العالمية ضدها ، الدول المتحررة مع الجمهورية ، والدول الخاضعة للنفوذ الاستعمارى أو المرتبطة بالاحلاف العسكرية العدوانية

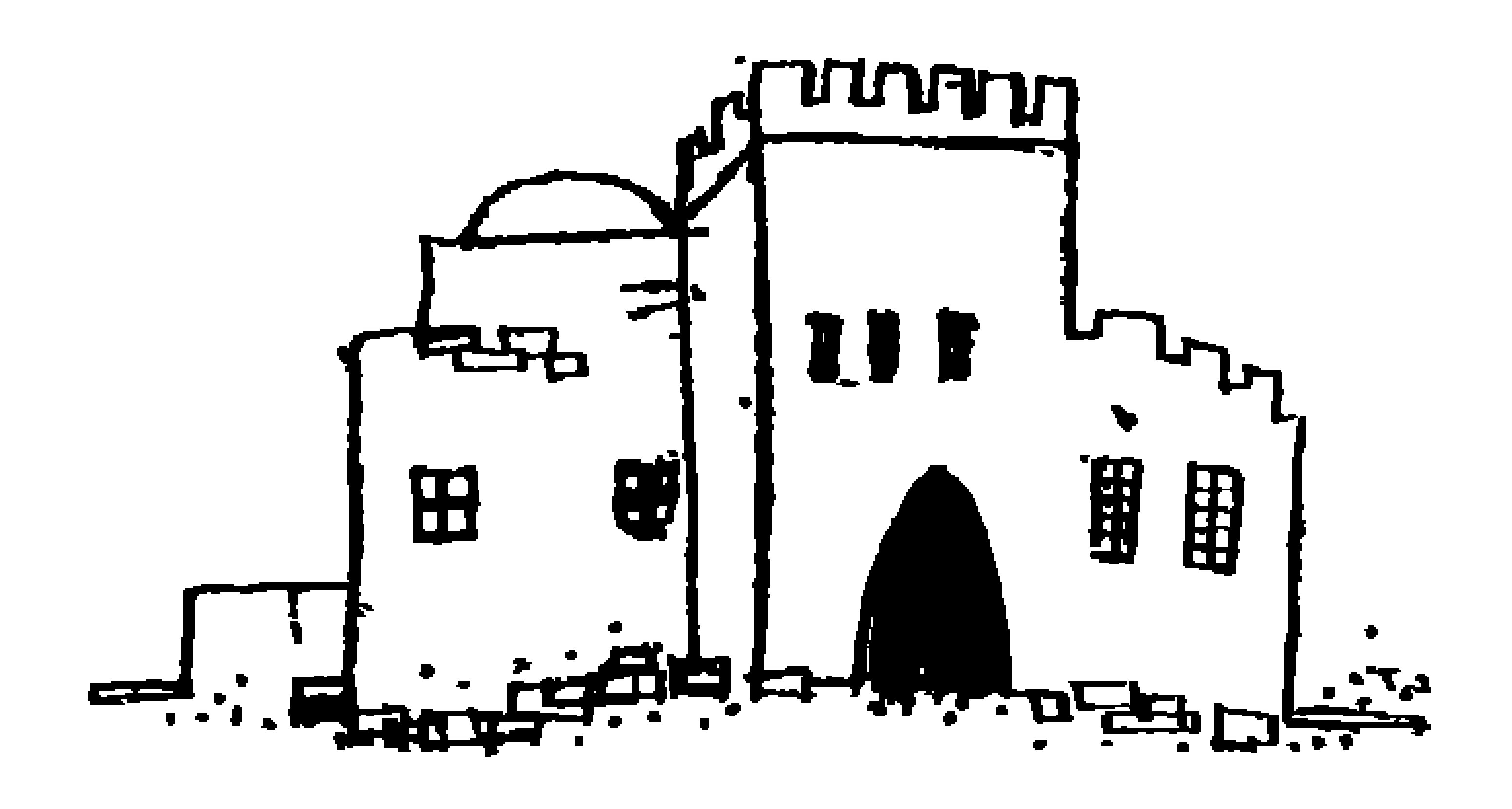
ضدها ، وكما قدم الاستعمار والرجعية العالمية السلاح والمؤازرة للثورة المضادة ، فقد قدمت الدول الصديقة والمتحررة السلاح والمؤازرة للثورة • وهكذا فان الصدام المسلح الذى دار على أرض اليمن وتخومه كان صداما ذا دلالة عالمية ، صداما بين قوى التحرر والتقدم وبين قوى الرجعية والتأخر • ان هذا الواقع السياسى قد أكسب الثورة اليمنية وزنا دوليا

## الدلالة التاريخية والتقدمية للثورة

ان الدلالة التاريخية التقدمية للثورة اليمنية لا تتمثل فى اسقاط نظام ملكى واقامة نظام جمهورى فحسب ، ولكن أيضا فى الغاء نظام الامامة الطائفى المتعصب ، والاوتقراطى الفردى ، والاسرى الارستقراطى • لقد كان نظام الامامة فى اليمن نشازا بين أنظمة الحكم الاسلامية لتفرده بهذه الصفات البشعة • لقد تساقطت كل الممالك اليمنية التى قامت على أساس مذهبى مثل ممالك الشوافع ، والقرامطة والفاطميين والخوارج ، والاسماعيليين ، الا مملكة الائمة فانها ظلت تحتفظ بنشاطها وعنفوانها حتى القرن العشرين • من هنا ندرك أن اسقاط نظام الامامة العتيق يعد عملا تاريخيا عظيما ، وقفزة تقدمية كبرى ، لقد سقط بقيام الثورة اليمنية الحكم المطلق والتمييز الاسرى ، والتحكم الطائفى ، واجتز رأس الاقطاع ، وباندلاع الثورة اليمنية انهار سور العزلة العتيد الذى حال بين اليمن وبين التأثر والتفاعل مع أحداث وتيارات العالم العربى الوطنية العاصفة ، كما وضعت الثورة اليمنية نهاية للجمود السياسى ، والحكم المحافظ والاستبداد الاقطاعى ••

على أن الدلالة التاريخية التقدمية للثورة اليمنية لا

تقف عند هذا الحد ، انها ما تزال ابعد من ذلك مدى ..
ان الثورة اليمنية تشكل ساعة ميلاد تاريخية جـــديدة لليمن ، ولمجد وحضارة اليمن . فمنذ الاحتلال الحبشى لليمن فى القرن السادس الميلادى الذى ساهم فى وضع نهاية تامة للحضارة اليمنية دخلت مرحلة جـــديدة فى تاريخ اليمن هى مرحلة ركود التطور ، ان كل انظمة الحكم التى اختلفت على اليمن منذ هذا الحين حتى النصف الثانى من القرن العشرين كانت اما أنظمة حكم اقطاعية طائفيه محلية ، او انظمة حكم اقطاعية اجنبية ، وكلها لم تساهم فى دفع اليمن خطوة واحدة الى الامام . ان الذى حدث هــو العكس ، فالحروب الاهلية ذات الصبغة المـــذهبية التى اشتعلت بين الطوائف والتى كان يقودها الامراء الاقطاعيون من اجل التفرد بحكم اليمن ، او الحروب التى اندلعت بين اليمنيين من جهة وبين الغزاة الاجانب من جهة اخرى ، ان كل ذلك قد ساعد على ازدياد التدهور الاقتصادى واستمرار ركود التطور مرحلة اطول . لهذا يمكننا القول انه باندلاع الثورة اليمنية اقفلت مرحلة الركود هذه الى الابد وفتحت مرحلة جديدة ، مرحلة انعطاف تاريخى تقدمى ، مرحلـــة تحول ثورى وطنى ، مرحلة انطلاق القوى المنتجة ومرحلة الازدهار الاقتصادى



# الدلالة الوطنية للثورة

ان لانتصار الثورة اليمنية أهمية خاصة بالنسبة لجنوب اليمن المحتل ، فرغم انها قامت من حيث الاساس ضد حكم الامامة المطلق فى الشمال ، الا أن دلالتها الوطنية تتسع على نطاق اليمن كله . ولهذا فانه ليس من الصدفة ان جماهير شعبنا فى اليمن المحتل استقبلتها بحماس منقطع النظير ، وتدافعت منها آلاف المتطوعين لنصرتها وارساء دعائمها ..

وكما فتحت الثورة طريق التطور التاريخى الواسع لليمن ، فانها فتحت طريق الوحدة الوطنية وحدة الارض اليمنية .. وكما سبق فان المحاولات التى قام بها الحكم الامامى الاقطاعى فى اليمن من اجل توحيد البلاد قد باءت بالفشل الذريع . ان من اسباب ذلك واقع ان حركة التوحيد هذه كان يقودها امام متعصب مكروه لدى سكان الجنوب اليمنى ، ولدى سكان عسير ونجران . ولهذا فانهم لم يتجاوبوا معه قط بل قاوموا حركته ، وبسقوط حكم الامامة المتعصب واعلان الجمهورية اليمنية انفتح الطريق رحبا امام الوحدة اليمنية وتوافرت الشروط التاريخية اللازمة لخوض معركة تحرير وطنية ضد الاستعمار

البريطانى ، ومن اجل توحيد الارض اليمنية واقامة دولة يمنية وطنية موحدة مستقلة . ان قيام الثورة فى الشمال قد أعطى الحركة الوطنية فى جنوب اليمن دفعة قوية الى الامام ، وانتقل بها الى مستوى ثورى اعلى • وليس ما هو اقوى دلالة على ذلك من قيام المظاهرات العمالية على نحو لم تعرفه المنطقة من قبل ضد الاستعمار البريطانى فى عدن ، ومن نشوب انتفاضة الحواشب وردفان ، والضالع ودثينة واحدة بعد الاخرى منذ ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ ، وانتشار الكفاح المسلح فى جميع انحاء الجنوب ، وفى عدن نفسها قاعدة الاستعمار • وهل هناك ما هو ابلغ دلالة على النهوض الثورى لحركة التحرر الوطنى فى جنوب اليمن نتيجة لانفجار الثورة اليمنية من واقع ان لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة قد ارسلت لجنة خاصة لتقصى الحقائق غير مرة ومن واقع ان الامم المتحدة قد اتخذت قرارات بناء على تقرير اللجنه تطالب فيها بريطانيا بسحب قاعدتها العسكرية من عدن وبمنح جنوب اليمن حريته واستقلاله، والسماح باجراء انتخابات عامة تحت اشراف الامم المتحدة لهذا الغرض ، ومن اضطرار بريطانيا الى اعلان أنها ستنسحب من عدن خلال عام ١٩٦٨ •

منذ اندلاع الثورة اليمنية، وكنتيجة مباشرة لها ، اخذ مركز الثقل لحركة التحرر الوطنية العربية ينتقل الى هذا الركن الجنوبى من بلاد العرب ، الى جنوب اليمن حيث فتحت جبهة مفاجئة على الاستعمار والرجعية تمتد على نطاق اليمن كله وحيث اجتذبت المعركة كل قوى التحرر العربية ، وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، وحيث انتقل الاستعمار البريطانى من مركز الهجوم على الثورة اليمنية الى مركز الدفاع عن وجوده ، وحيث أخذت الامواج الثورية لحركة

التحرر الوطنية العربية تحاصر قاعدة الاستعمار البريطانى في عدن التى اعدها لتكون ثالث قاعدة له فى العالم يهدد منها الجمهورية اليمنية ويحمى منها مصالحه البترولية فى جنوب الجزيرة وعلى الخليج العربى ويوجهها لتكون رأس رمح مشروع ضد شرق افريقيا ، ولتكون حلقة رئيسية فى سلسلة القواعد العسكرية العدوانية فى العالم ،واحدى مراكز التوتر الدولى وبؤرة لتهديد السلم العالمى

لقد وجهت الثورة اليمنية نيرانها على برج الاستعمار فى عدن ، ولسوف تشهد السنين القادمة معركة العرب الحاسمة والفاصلة مع الاستعمار البريطانى فىهذهالزاوية البعيدة من بلاد العرب ، فى جنوب اليمن . ولقد فتحت الثورة اليمنية عهد الثورات فى جزيرة التثاؤب والخمول جزيرة الاقطاع والبترول . لقد ارسلت الثورة اشعاعاتها المتوقدة الى كافة انحاء الجزيرة . ومنذ الآن يمكن القول ان حركة التحرر الوطنى فى شبه الجزيرة العربية قــــد ازدادت ثقة بنفسها ويقينا بانتصارها

## الدلالة الديمقراطية للثورة

ان دلالة الثورة الديمقراطية تتجلى فى ان الثورة قــد اسقطت فئه الاقطاع العليا الكهنوتيه الارســــــتقراطية المسيطرة سياسيا وعلى راسهاالامام وصادرت املاكهاواملاك الاسرة المــالكة . كما ان الثورة اقامت مكان الحكم الملكى المطلق النظام الجمهورى ، وأصبح كل يمنى له الحق فى أن يرشح نفسه بمقتضى هذا النظام لرئاسةالجمهورية. واكثر من ذلك فان مبدأ الشعب مصدر السلطات قد اعترفت به الثورة عندما نص دستورها على حـــق الشعب ــ عند توافر ظروف سياسية ملائمة ــ فى اقامة مجلس للشورى

يضم ممثلين من الشعب يشرفون على الاداة الحكومية ويوجهون سياستها الداخلية والخارجية ويحاسبون الوزراء ان اخطأوا ، ويعزلونهم من كراسي الحكم ان انحرفوا وحادوا عن نهج الثورة • وفوق هذا كله فان الثورة دعت الى تكوين تنظيم شعبي يتمتع فيه المواطنون بحقوقهم الوطنية الديمقراطية ، ويمارسون فيه النقد والنقد الذاتى ، ويتخذون منه منبرا شعبيا لاسماع الحكومة اصواتهم ولتوجيهها . وفى التنظيم الشعبى تتمثل القيادة الفكرية والسياسية والتنظيمية للثورة ، وهو يقودها فى مراحل تطورها اللاحقة ويطور منهاجها الوطنى ، ويعبىء الجماهير الشعبية لصيانة الجمهورية وحمايه الاستقلال ومن اجل التمتع بالحريات الديمقراطية . وفوق هذا وذاك فان دستور الدولة قد نص على ان اليمن جمهورية ديمقراطية وفى ذلك اعتراف قانونى دستورى بحقوق الشعب الديمقراطية

## الدلالة الوحدوية للثورة اليمنية

منذ نكسة الانفصال عام ١٩٦١ م اخذ المد الرجعى والاستعمارى يجتاح المشرق العربى ويتقدم ليحاصر قلعة الثورة العربية ، الجمهورية العربية المتحدة. وبفضل وحدة مصر وسورية خيل للاستعمار والرجعية العربية انه لن تقوم للوحدة العربية بعد ذلك قائمة ، وانه لم تبق الا شهور معدودات حتى يتم الاستيلاء على قلعة العروبة الشامخة منطلق الثورة العربية ، والداعية لوحدتها وتحررها ،مصر، غير ان حسابات الاستعمار ومخططات الرجعية العربية تساقطت واحدة بعد الاخرى بالانفجار الثورى على ارض اليمن • وفجأة وجد المستعمرون والرجعيون انفسهم

وقد اسقط فى ايديهم ، واخذ المد الثورى يكتسح المد الرجعى الاستعمارى ، ودحر الاستعمار والرجعية من مركز الهجوم الى مركز الدفاع . بالثورة اليمنية تغير الوضع السياسى فى المحيط العربى تغيرا كليا . وبعد بضعة اشهر فقط من اندلاع الثورة اليمنية سقط حكم الديكتاتورية الفردية فى بغداد وانهار حكم الانفصال فى دمشق . تلك هى الدلالة العربية الوحدوية للثورة اليمنية. ومن جديد اخذت حركة الوحدة العربية تفرض نفسها على الرجعية والاستعمار اشد قوة وأشد اقداما . وكما عقدت العراق اتفاقية للتنسيق المشترك واتفاقية القيادة السياسية الموحدة كخطوة اولى فى سبيل الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة عقدت الجمهورية العربية اليمنية مثل هذه الاتفاقية معها . وتبلور محور عربى قومى من حول القاهرة يدعو الى الوحدة العربية الشاملة

## الثورة اليمنية بين ثورات التحرر الوطنى

الى جانب الطابع الخاص الذى تتميز به الثورة اليمنية نتيجة للاوضاع التاريخية والاجتماعية الخاصة التى تتفرد بها اليمن فان لها سمة عامة تجمعها بثورات التحرير الوطنية الديمقراطية . لقد اندلعت الثورة اليمنية فى حقبة تاريخية اخذت فيها الانظمة الاستعمارية ، والانظمة الاقطاعية تنهار تحت ضربات حركات التحرير الوطنى ، واخذت الجبهة المعادية للاستعمار القديم والاستعمار الجديد والاقطاع والراسمالية تتسع وتمتد لتشمل دول المعسكر الاشتراكى ، والدول الوطنية السائرة فى طريق التطور غير الراسمالى وفى طريق التطور الاشتراكى ، والقوى الديمقراطية فى معسكر الاستعمار نفسه . ولهذا يمكن

وصف هذه الحقبة التاريخية بأنها حقبه انهيار الاستعمار والاقطاع ، حقبة انتصار ثورات التحــرير الوطنيــة الديمقراطية ، وحقبة الانتقال من الرأســمالية الى الاشتراكية . واندلعت الثورة اليمنية فى وقت اخــذت فيه حركة التحرير الوطنى العربية تحطم انظمة الحكــم الاستعمارية والاقطاعية والراسمالية ، وتتخطى بنجــاح مرحلة التطور الوطنى الديمقراطى لتنتقل الى مرحلة بناء الاشتراكية الديمقراطية . تحت هذه الظروف الدوليــة والعربية التقدمية انفجرت الثورة اليمنية . ان هــذه الظروف العامة لم تساعد على نجاح الثورة اليمنية فقط ، وانما ساهمت أيضا بشكل مباشر وغير مباشر فى تكييف مسيرة الثورة وفى تحديد طابعها السياسى . ان جــوهــر العصر الذى نشبت فيه الثورة اليمنية قــد مارس اثره على سير الثورة فى مرحلتها الحربية والسياسية الاولى وسيمارس اثره على ســيرها فى مرحلتها الاجتمــاعية والاقتصاديه التالية

ان القانون التاريخى العام الذى يتحكم ويكيف الى حد بعيد طابع وجوهر ثورات التحرير الوطنية الديمقراطيــة فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية هو نفس القانون العام الذى يسرى اثره ايضا على الثورة اليمنية . أن هناك قاسما مشتركا عاما بين كل ثورات التحــرير الوطنيــة ، أن المحتوى العام لهذه الثورات واحد والاطار التاريخى الذى تتحــرك فيه واحد . ان ثورات التحــرير الوطنيــة الديمقراطية فى هذه القارات الثلاث بما فيها الثورات العربية ـ استهدفت فى نضالها خلع الاستعمار والقضـــاء على الاقطاع ، واقامة دول وطنيــه متحـــررة سياسيا ، ومستقلة اقتصاديا ، كما اخذت تنمى اقتصادها الوطنى

حسب خطط علمية تمكن الدولة من اقامة قطاع عام فى الصناعة والزراعه ، وانتهجت طريق التعاون النزيه والمثمر مع الدول الصديقة ، وسارت فى طريق التطــور الوطنى الديمقراطى وفى طريق التطور غير الراسمالى ، ثم فى طريق الاشتراكيه ، ورفعت شعار النضال ضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد وضد الاحلاف والقواعد العســكريه العدوانية . ان للثورة اليمنية سمة عامة.. تجمعهابثورات التحرير الوطنية الديمقراطية هذه . فهى قد قامت من حيث الاساس ومن الناحية الموضوعية ضــد النظــام الاقطاعى المرتبط عمليا بوجود الاستعمار .وبقضاء الثورة اليمنية على النظام الملكى واعلانها للنظام الجمهورى تكون قد قطعت خطوة سياسية حاسمة فى اتجاه القضاء التــام على الاوضاع الاقطاعية .. ويخوضها نضالا ثوريا مسلحا استمر ثلاث سنين ضد قوى الرجعية والاســـتعمار ، وبتصديها للاستعمار البريطانى واتجاهها الى تحرير الجنوب اليمنى من نفوذه وتوحيد الوطن اليمنى ، وبرفعها شعار مكافحة الاســتعمار والاحــلاف والقواعد العســكرية العدوانية وبانتهاجها سياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى وبدعمها لنشاط الامم المتحدة ودول بانــدونج والدول الافريقية ودول عدم الانحياز وبسعيها الى تصفية الاستعمار ومقاومة الحرب والدفاع عن الســلم : بذلك كله تكون الثورة اليمنية قد اتخذت لها موقعــا هاما فى جبهة التحرير الوطنية الديمقراطية التى تمتد على نطاق آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية

وبالثورة اليمنية انفصلت اليمن عن نطاق الدول الرجعية العربية والتحقت بالدول العربيــة المتحــررة والتزمت النهج الثورى الذى تسير عليه ، واصبحت تشكل مع هذه

الدول محور وارضية الثورة العربية التي عليها ومن حولها في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية هو نفس القانون العام سينهض بناء الوحدة العربية المتحرر الشامخ

ومن أجل تحرير اقتصاد البلاد من التبعية الاستعمارية ومن اجل ايجاد اقتصاد وطنى ناهض سلكت الثورة طريق التعاون الاقتصادى مع الجمهورية العربية المتحدة ، وطريق اخذ المساعدات والقروض النزيهة من الدول الصديقة ..

كما اصبحت الاملاك المصادرة من العائلة المالكة المسقطة ومن حلفائها الرجعيين تشكل نواة للقطاع العام فى الزراعة

ان هذه الملامح التى برزت حتى الان ، تظهر جليا طابع الثورة اليمنية الوطنى التحررى الديمقراطى وهى تشير بما لا يدع مجالا للشك الى انتساب الثورة اليمنية الى ثورات التحرر العربية خصوصا والى ثورات التحرير الوطنية الديمقراطية بشكل عام

ومع ذلك فان الثورة اليمنية لم تعبر بعد عن محتواها الوطنى الديمقراطى تعبيرا كاملا · فأمام الثورة اليمنية مرحلة جديدة كاملة لتبرز هذا المحتوى على نحو تام · أمام الثورة اليمنية مهام شاقة كالقضاء على التركيب الاقطاعى القبلى واحداث ثورة زراعية فى البلاد واقامة التعاونيات ، كما ان امامها مهمة ايجاد نهضة ، صناعية ، واقتصاد وطنى متحرر ، وتوسيع القطاع العام فى الزراعة عن طريق استصلاح اراضى جديدة ، واقامة القطاع العام فى الصناعة عن طريق استثمار ايرادات الدولة والقروض والمساعدات العربية والاجنبية ، ووضع برامج واتخاذ اجراءات ثورية لا تضمن النمو الاقتصادى فقط ، وانما تضمن ايضا سير البلاد فى طريق التطور غير الرأسمالى

كذلك فان امام الثورة قضية احداث ثورة ثقافية عامة فى البلاد وانشاء الجيش الوطني الضارب الذى يستطيع ان يحمى الاستقلال الوطنى وخلق تنظيم شعبى يجمع قوى الشعب العامل وطلائعه الثورية ، يستطيع أن يحرس سير الثورة ويتكفل بدفعها فى طريق التطور الوطنى ، كما ان امام الثورة مسئولية مواصله النضـــال ضـــد الرجعية المتربصة وضد الاستعمار البريطانى حتى يتحرر جنوب اليمن منه وتوحد الارض اليمنية كذلك فان الثورة مدعوة للاستمرار في حمل علم النضال ضد الاستعمار القديم ، والاستعمار الجديد ، والاحلاف والقواعد العســـكرية العدوانية وفى رفع راية الوحدة العربية عاليا حتى تتحقق وحدة الوطن العربى ، وتطهر الارض العربية من الاستعمار والصهيونية ..

وبرغم الصعاب الهائله فانه ليس هناك ما يدعو للشك فى قدرة الثورة اليمنية على اجتياز هذه المرحلة بنجاح

والى جانب السمة العامه التى تجمع الثورة اليمنيـــة بثورات التحرر الوطنية الديمقراطية فان لها سمات خاصة تتميز بها عن هذه الثورات ، فالثورة اليمنية لم تقم تحت قيادة حزب او احزاب سياسية منظمة ، ولم تنهض بها طبقة برجوازية وطنية ناضجة ثورية . وهذه هى الخاصة الاولى للثورة

فلقد فجرت الثورة فئة من الضباط الثوريين بالتعاون مع ممثلى البرجوارية التجارية الصغيرة الطامحة كما ساند الثورة الشباب المتحمس وطبقات المجتمع الاخرى وكان معظم الفلاحين عدا المضللين منهم من القبائل يشكلون جيش الثورة المحارب والاحتياطى وسندها الجماهيرى

ولكن ضعف البرجوازية الصغيرة ، وعدم وجود جيش

حديث قوى وعدم تهيئة طبقة الفلاحين والجماهير الشعبية الاخرى تهيئة ثورية يشكل الخاصة الثانية للثورة

ان اندلاع الثورة اليمنية فى مجتمع قبلى مسـلح ، فى مجتمع يكاد يكون كل افراده جيشا مجهزا مستعدا للقتال وللوثوب صد بعضه البعض ما لم تكن هناك قضيـة تجمع صفوفه وتوحد عمله ، وان نشوب الثورة فى مجتمع كان جزء منه مايزال مخدوعا بالامامة ومستعدا لهـذا السبب نفسه وبسبب من تقاليده البدوية والقبلية المتأخرة، ودفاعا عن طراز حياته المتخلف ، ومن اجل الحصول على الغنيمة والسلاح لان يقف ضد الثورة ، ان ذلك يشـكل الخاصة الثالثه للثورة . ان اندلاع الثورة اليمنية فى قلب الجزيرة العربية حيث تلتقى وتتصادم مصالح الاستعمار القديم والجديد وحيث يسود حكم الاقطاع والاسـتعمار المزدوج ، حيث يقع اكبر احتياطى للبترول على الارض ، وحيث توجد ثالث قاعدة استعمارية بريطانية فى العالم وهى عدن وحيث الموقع الاستراتيجى ذو الاهمية العالمية بعـد السويس وهو باب المندب . ان اندلاع الثورة تحت مثل هذه الظروف الفريدة قد ألب كل القوى الاستعمارية والرجعية على الثورة اليمنية ودفعها الى التدخل المباشر وغير المباشر بشكل لم يسبق له مثيل مع اى ثورة وطنيه ، ان ذلك ايضا يشكل الخاصة الرابعة للثورة

ان تدخل الجمهورية العربية المتحدة بجيشها المسلح لصد هجمات الاستعمار والرجعية ، وللدفاع عن الثـورة اليمنية يشكل الخاصة الخامسة للثورة

ان الثورة اليمنية بسبب من طابعها البرجوازى الصغير ومن احتضان جماهير الشعب لها من فلاحين وعمـال ومثقفين ثوريين ، وبحكم التقائها الثورى مع الجمهـورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى ، التى تسير فى

طريق الاشتراكية تستطيع ان تنتقل مباشرة من المجتمع القبلى ـ الاقطاعى ، الى المجتمع غير الرأسمالى ، ان ذلك يشكل الخاصة السادسة للثورة

ان سير الثورة اليمنية فى طريق التطور غير الراسمالى لن يكون عن طريق التأميم نظرا لعدم وجود ملكية رأسمالية احتكارية خاصة ، وانما سيكون بالدرجة الاولى عن طريق خلق القطاع العام من الاساس على نطاق الصناعة والزراعة . وتلك هى الخاصة السابعة للثورة

ان كلّ ذلك يبين بشكل قاطع الموقع الخاص الذى تحتله الثورة اليمنية بين ثورات التحرر الوطنية الديمقراطية داخل الوطن العربى وخارجه



# الباب الثانى

* ماذا بعد الحرب الثورية ؟
* تغيير ثورى جذرى
* مجلس الشورى والديمقراطية
* التنظيم الشعبى
* آفاق المستقبل

## ماذا بعد الحرب الثورية ؟

لقد ادرك الاستعمار وادركت الرجعية الدلالات العميقة التى حملتها الثورة اليمنية معها وتصوروا أيضا نتائجهـا البعيدة المدى ليس على مستقبل الجزيرة العربية فقط بل وعلى حركة التحرر العربى بمجملها • لقد كان الاستعمار والرجعية يتصوران أن يحدث أى شيء فى الوطن العربى الا أن تنفجر ثورة فى بلد منهك ضعيف مغـــرق فى التخلف والتأخر كاليمن ، وكان خطأ الاستعمار والرجعية انهما لم يدركا ان هذه الظواهر السلبية نفسها هى وقود الثــورة وعوامل اندلاعها . وعندما فوجىء الاستعمار والرجعيـة بالثورة اليمنية وتصورا نتائجها المفزعة على مصيرهما فى المنطقة العربية قررا جرها وهى ما تزال وليـــــدة الى معارك حربيه طاحنه تستنزف قوتها وتستنفذ امكانيـات المقاومة فيها وتمتص طاقتها الذاتية • كان هدفهمـــا ان يجهضا الثورة فى المعارك ويفرغا كل حيويتها وعنفوانهـــا فتنتهى الثورة وتتلاشى

وحقا استطاع الاستعمار والرجعية ان يشغلا الثــورة

اليمنية لثلاث سنوات تقريبا عن حركة البناء ، وعن السير في عملية التغيير الثورى لحياة المجتمع • غير انهما لم ينجحا بفضل نجدة الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة وهمة رئيسها فى القضاء على الثورة

والآن وبعد النصر الساحق على الاستعمار والرجعية فى ميادين القتال وعلى الجبهة العسكرية فماذا بعد الحرب الثورية ؟

خلال الثلاث سنوات الماضية كان كل شىء من أجل الجبهة . اما اليوم فيجب ان يكون كل شىء من أجل البناء . ان القضاء النهائى على الاستعمار والرجعية لن يكون على الجبهة وانما فى معركة البناء الداخلى

ولهذا سيحاول الاستعمار وستحاول الرجعية الهاءنا عن هذا الهدف بتدبير المؤامرات وبخلق العراقيل ،وبوضع اللغم تحت عجلة حركة البناء . وفى الوقت الذى ينبغى علينا ان نكون فيه متسلحين باليقظة الشعبية التامة، ومستعدين لاحباط المؤامرات ووأدها فى مهدها فورا وباكتساح كل العراقيل ، وتنظيف الطريق من الالغام، علينا ان نركز جل اهتمامنا على ميدان البناء والتغيير الثورى. ولأمد طويل سيبقى التناقض الرئيسى قائما بين الشعب من جهة وبين الاستعمار والرجعية من جهة اخرى ، غير ان اسلوب مواجهة العدو واسلحة مقاومته ستختلف ،لن يكون النضال ضده على الجبهة وبنيران المدافع فقط، وانما أيضا وبالدرجة الاولى عن طريق العمل الايجابى من أجل تغيير الواقع الفاسد ، وبدون ذلك تبقى التربة صالحة لتفريخ المؤامرات وحبك الدسائس ضد الثورة . لابد من هدم البناء القديم حتى القواعد ، فهو عش الاستعمار والرجعية ، وعلى انقاضه ينبغى ان يقام صرح الجديد • ان خلف الواقع القديم تكمن عناصر التخلف ذات المصلحة

الرجعية وهى مستعدة فى اللحظة المناسبة لان تمد يدها للتعاون مع الاستعمار من أجل البطش بالثورة

لقد سبقنا الرئيس العربى عبد الناصر فى اكتشاف هذه الحقيقة الهامة عندما كتب فى الميثاق ملخصا تجربة الحرب الوطنية ضد قوى العدوان الثلاثي حيث يقول ٠ ان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم فى السويس هو :

لمن هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركة الرهيبة ؟

وكان الرد التاريخى الذى لا رد غير هو أن هذه الارادة لا يمكن ان تكون لغير الشعب ، ولا يمكن ان تعمل لغير تحقيق أهدافه . ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها

***

ان هذه المرحلة من النضال هى اخطر المراحل فى تجارب الامم ٠ انها النقطة التى انتكست بعدها حركات شعبية كانت تبشر بالامل فى نتائج باهرة ، ولكنها نسيت نفسها بعد اول انتصار لها ضد الضغط الخارجى وتوهمت خطأ أن أهدافها الثورية تحققت ومن ثم تركت الواقع كما هو دون تغيير ناسية ان عناصر الاستغلال الداخلى متصلة عن قرب مع قوى الضغط الخارجى ، فان الصلة بينهما والتعاون تفرضهما ظروف تبادل المنافع والمصالح على حساب الجماهير »

## ضرورة حسم الصراع بين الجناح الثورى واليمينى

لم تكن مشكلة الثورة اليمنية التى واجهتها منذ الايام الاولى لقيامها تتمثل فى الثورة المضادة السافرة التى هبت فى وجهها فحسب ، وانما كانت تتمثل أيضا فى عملية التخريب الداخلية لقوى اليمين التى اضعفت قـــواها ، وزعزعت قاعدتها الجماهيرية ، وبثت الشحناء بين قادتها، فأثرت بذلك على قدرة مقاومتها للثورة المضادة ، وحالت دون مواجهة اعدائها بما ينبغى من الحزم والشدة ، وكادت تعطل سيرها ، وتنحرف بها فى اتجاه مضاد تماما

فلقد ظهر بعد قيام الثورة بأيام ان هناك اتجـــاهين سياسيين .. اتجاها ثوريا ، واتجاها اصلاحيا ، وكان يمثل الاتجاه الاول تلك القوى التى قامت الثـورة على أكتافها والتى شكلت قيادتها ، بينما كان يمثل الاتجاه الثانى زعماء المعارضة التقليدية التى لم يكن لها نصيب فى تفجير الثورة أو كانت على علم باحتمال نشوبها ولم تشترك فى اشعالها ، أو ســاهمت فى قيـامها ولكن بدور ثانوى

وكان يمكن أن يلعب زعماء المعارضة التقليدية دورا بارزا ورئيسيا فى تثبيت الثورة ، وتوفير اسباب الاستقرار لها كشرط لازم للسير بها فى طريق البناء والتطوير،وكان يمكن أن يرشحهم هذا الدور لان يحتــلوا مكانة جديرة فى تاريخ الثورة ، غير انه بسبب من عوامل نفسية وفكرية

وسياسية ركز زعماء المعارضة التقليدية كل نشاطهم وتجاربهم ومراسهم السياسى فى اتجاه يخالف اتجاه الثورة الوطني والقومى ، ويخالف اتجاهها الاجتماعى والتاريخى

ويمكن ايجاز الاسباب والعوامل والملامح التى شكلت الاتجاه اليمينى فى النقاط الآتية :

١ ــ ان « عقدة نفسية » تحكمت فى سلوك قيادة المعارضة التقليدية منذ قيام الثورة والى اليوم ، وتتمثل هذه العقدة فى شعور قيادة المعارضة القديمة بأن الثورة قامت دون ان يكون لها شرف الاسهام فيها ، فكشفت للناس مدى تخلف نشاطها السياسى الكلاسيكى مما جعلها تنظر بعين الحسد أو عدم الرضاء ازاء أولئك الذين تخطوها وهم دونها فى «المقام والسمعة» وتقدموا حركة الشعب اليمنى من اجل الخلاص من ظلام القرون الوسطى ليعلنوا فجأة يوم ٢٦ سبتمبر سقوط الملكية والامامة وقيام الثورة والجمهورية مما أكسبهم احترام العالم كله ، ووضعهم فى صف ثوار القرن العشرين الوطنيين

٢ ــ ان زعامة المعارضة القديمة كانت اصلاحية ، ولم تكن ثورية ، وكان كل ما تطمع فيه ادخال بعض الاصلاحات والتجديد والتحسين على حياة اليمن الاجتماعية والسياسية ، ولو فى ظل النظام السياسى والاقتصادى القديم ، ولو فى ظل الامامة والملكية ، وهى قد حاولت ذلك عن طريق الامير احمد قبل ان يصبح اماما ، وسعت اليه عن طريق عبد الله الوزير ممثل احدى الاسر الارستقراطية الاقطاعية ، ومن اجل ذلك وضعت على رأسه تاج الامامة والملك ، واخيرا استقر رأيها على محمد البدر الذى أملت فيه ان يكون خيراً من والده وجده ، والذى ربطتها به صلات متنوعة . وكان الاسلوب السياسى الذى اعتمدته

قيادة المعارضة القديمة هو ضرب الاسر بعضها ببعض وصولا الى غرضها ، والمناورة السياسية ، والعمل وراءالكواليس، ومع « خاصة » الناس . ولم تكن تثق فى الشعب ولا فى قدرته على صنع عمل « سياسى » أو تاريخى

ولهذا فقد كان قيام الثورة واعلان الجمهوريةعلىانقاض الملكية والامامة عملا فاق احلامها ومطامحها ، ولم يترك لها، الا مكانة متواضعة فى سجل الكفاح الوطنى من أجل التحرر من الاستبداد والطغيان .

٣ ـ ان قيادة المعارضة التقليدية كانت تهتم أساسا بانهاء حكم « العدنانيين » على « القحطانيين » ، وبأنهاء حكم « الزيود » على « الشوافع » ، ولكنها لم تعرف طريقة الوصول الى ذلك لانها لم تعرف أن التحكم الطائفى والعنصرى ليس الا ظاهرة سياسية تنبع من طبيعة الوضع والحكم الاقطاعى ، وبدلا من معالجة العصبية الطائفية والعنصرية أخذت تغذيها وتزيدها أشتعالا نتيجة فقدانها للرؤية السياسية الواضحة

٤ ـ ان المعارضة القديمة ولو كانت قاعدتها الجماهيرية تتشكل من فئة التجار اليمنيين داخل اليمن وخارجها والتى كانت لها تطلعات ثورية الا أن زعماءها البارزين كانوا ينحدرون من أسر اقطاعية فى الاصل او من عناصر اقطاعية تطورت وأصبحت ذات مصالح بورجوازية مرتبطة بمصالح وأفكار البورجوازية الغربية ، أو عناصر دينية ذات رؤية ضبابية عائمة تختلط فى ذهنها أفكار قبلية ، واقطاعية، ووطنية مضطربة

من هنا فان زعماء المعارضة القديمة البارزين لم يكن من سياستهم تغيير الوضع القبلى ـ الاقطاعى ، وان لم يكونوا ضد التطور فى اتجاه رأسمالى فى نفس الوقت، كما

لم يرحبوا باتباع مواقف وطنية أزاء الاستعمار البريطانى الذى يحتل ثلثى الارض اليمنية فى الجنوب ، ولا أزاء الاستعمار بشكل عام

٥ ــ وكعناصر اصلاحية لم يرتح زعماء المعارضة التقليدية الى تصفية أقطاب العهد البائد ، ولا الى أسلوب المواجهة السياسية العنيفة والمواجهة العسكرية للتدخل السياسى والعسكرى ضد الثورة اليمنية من قبل الرجعية السعودية والاستعمار البريطانى ، ولا الى التضحية « بأبنائنا » فى « حرب نحن فى غنى عنها » ويمكن تلافيها « بالمفاوضات السلمية » ، فنحن « طلاب اصلاح لا دعاة حرب » على حسب قولهم

٦ ــ ان زعماء المعارضة القديمة منافسة منهم للضباط « الاغرار » على السلطة استندوا على رؤساء القبائل ومشايخ الاقطاع الذين هم «جبال اليمن الرواسى، وأقطابها وأقيالها » ، فالضباط لا يصلحون ان يكونوا اكثر من «عكفة» او حرس فى خدمة « اصحاب السياسة» و«اعيان ووجهاء البلاد » و «عقلائها واولى الحل والعقد فيها» ؛ وفوق ذلك فالضباط ومعهم «حفنة من التجار» ليسوا الا «عملاء» لمصر استخدمتهم للقيام بثورة ضد الامام بسبب « قصيدته الشعرية » ضد الوحدة ، واستخدمتهم للانتقام لعبد الناصر بعد النكسة التى حدثت له ولسياسته وسمعته فى سوريا • هكذا يتكلم الزعماء التقليديون بصراحة ..

٧ ــ ان زعماء المعارضة رأوا انه اذا كانت الثورة اليمنية أو « المهزلة اليمنية » هى « تجسيد صارخ للانتهازية الدولية» فانه لا ينبغى ان تبقى ارض اليمن وابناء اليمن ضحية لصراع دولى ، ونهبا لصراع قديم حديث بين «الاسرة المصرية والاسرة السعودية » وبين الزعامة الناصرية

والزعامة السعودية . وهكذا يفلسفون الصراع فى اليمن

٨ ـ ان المهمة التي ينبغي أن يتصدى لها العقلاء ـ من وجهة نظر المعارضة ـ هى كيفية انهاء الحرب الخارجية المحتدمة بين الاطراف غير اليمنية والتى اتخذت ـ لسوء الحظ ـ من اليمن ميدانا لها ، ومن « افتعال » الثــورة تبريرا لنشوبها ، والوحيدون الذين يستطيعون النهوض بهذه المهمة هم « المحبون للسلام » من زعماء المعارضة ، وهم مستعدون لطلب السلام من السعودية نفسها ، بالحج الى مقامها ، ولو بارسال وفد من المشايخ « المخلصين » ان استحال ذهاب الزعماء ، وتوقيع « اتفاقية الطائف » مع ممثلى الملكية المسقطة ، يتم التنازل بمقتضاها عن النظام الجمهورى ويتفق فيها على أن تكون اليمن « دولة اسلامية »

اذ ان ما يهم ليس هو « شكل » النظام ، وانما المهم هو اعادة « السلام الى ربوع اليمن » وانهاء التدخل المصرى فى شئونها ، واحياء « الكيان اليمنى » الذى سحقه التسلط والاستعمار الناصرى . على هذا النحو العجيب يفــكرون ويتصرفون

٩ ـ ان ما تطلبه المعارضة هو اعطاؤها الفرصـــة الصلاحية الكاملة للتفاوض مع « الاطراف المعنية » من أجل اقرار الســلام . وهى قادرة حينئــذ على ذلك ، فستقول لاتباع بيت حميد الدين : لماذا تختصم نحن واياكم ، منكم أمير ومنا وزير ، والحكم شورى بين الجميع وستقول للسعوديين اتفقوا مع المصريين على أى شىء ، المهم خروج قواتهم من اليمن ، وبعـدئذ سـترون أن سياستنا لا تختلف عن سياستكم ، فكما أنكم تصادقون الامريـكان وتستخرجون بواســطتهم ثروات بلادكـم وكذلك نحـن أصـدقاء لهم ، ويهمنـا ، أن يستخرجوا

ثروات بلادنا ونتطور كما تطورتم ، كذلك فنحن أصدقاء للبريطانيين ، ونسعى الى خلق علاقات من « حسن الجوار معهم » ومع « اخواننا سلاطين » وأمراء اتحاد الجنوب العربى ، ونحن نستنكر تعكير صفو العلاقات معهم الذى يسببه وجود المصريين فى اليمن ، وايجادهم بعض العملاء والمرتزقة فى جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل » ! هكذا فعلا يتكلم زعماء المعارضةالقديمة دون خوف ..

تلك هى الاسباب والعوامل ، والافكار ، والسياسات التى تشكل خط زعماء المعارضة فى اليمن ، والتى وضعتهم فى موقف معارضة لخط الثورة اليمنية أشد من موقف معارضتهم لحكم بيت حميد الدين

ولقد دأب زعماء المعارضة القديمة على خلق اتجاه يمينى يدين لهم بالولاء ويدعم خطهم السياسى ، ولهذا الغرض قاموا بعملية تهييج واسعة النطاق لرؤساء القبائل ومشايخ الاقطاع ، وقاموا باتصالات سياسية متنوعةمع كل القوى الاستعمارية ، وسعوا الى تمزيق وحدة الضباط ، وأغروا عناصر منهم كانوا يريدون لها الموت ، ولكن لغرض سياسى مؤقت ضموها الى صفوفهم وركزوا هجومهم على عناصر الثورة الرئيسية والاستراتيجية والتى لم يفلت زمام الثورة من قيادتها بعد . وكانت مؤتمرات عمران ، وخمر ، والجند وتمرد أغسطس الاخير أبلغ وأعنف وأقوى تجسيد لتحركات الجناح اليمينى بزعامة عناصر المعارضة القديمة ضد خطة الثورة اليمنية ، وضد قيادتها ، ومن أجل الاستيلاء على زمامها واسقاط ممثليها البارزين ، ومن أجل اقامة حكم رجعى - اقطاعى مكانها يفتح ابواب اليمن للشركات الامريكية

ولجميع الاحتكارات الاستعمارية بغية « تطوير وانهاض اليمن » وسيرا على « النهج الرشيد » للحكم السعودى!!

على ان مما يدعو للعجب أن الجناح اليمينى استطاع ان يضم الى صفوفه ليس فقط بعض العناصر التى كان يعاديها من الضباط ، وانما أيضا عناصر مثقفة تدعى انها يسارية ، وانها تحمل أفكار الماركسية ، وافكار البعث

على ان ذلك كان يعود فى غالب الامر الى عدم وضوح الرؤية السياسية لدى هؤلاء الشباب والى التأثر بالافكار والنزعات الاقليمية

وعلى عكس الاتجاه اليمينى كانت العناصر التى تحملت عبء تفجير الثورة اليمنية ترى أن المهمة التى أنجزتها بدافع وطنى خالص مهمة تاريخية كبرى لابد أن تواجهها مشاكل صعبة وكثيرة ، ولابد ان تحاربها الرجعية المحلية، والعربية ، كما لابد ان يحاربها الاستعمار ، وعلى رأسه الاستعمار البريطانى وانه ليس فى الامكان كسب ولاء الرجعية والاستعمار الا على حساب تصفية الثورة والتراجع عنها • وادراكا منها بأن قيام ثورة فى قلب الجزيرة العربية حيث يسود حكم ملوك وأمراء الرجعية ، وأسيادهم المستعمرين ، واستهداء منها بتجارب الانتفاضات الثورية السابقة التى أخمدتها الرجعية المحلية بالتعاون مع الرجعية العربية رأت ضرورة التعاون الوثيق مع الجمهورية العربية المتحدة لضمان نجاح الثورة ، وضمان استمرارها وتطورها

على ان العناصر الثورية نظرا لنقص خبرتها السياسية ولحسن النية والطيبة لم تتنبه الى خطورة زعماء حركة المعارضة القدماء ، ولم تكتشف نواياهم وأهدافهم البعيدة بسهولة ، فمكنت لهم من السلطة ، وأفسحت لهم

المجال للنشاط العام ، ولتكوين اتجاه سياسى ضدها وفي ظلها . وأكثر من ذلك فان العناصر الثـــورية انخدعت في هؤلاء .. بحكم ماضيهم فى المعارضة وأخذت تسمع آراءهم باهتمام ؛ مما مكنهم من تمزيق وحدة الضباط ، وتمـزيق وحدة العناصر الثورية التى تولت عبء الثورة

وبينما كان الاتجاه اليمينى ينمو ويقوى كان الاتجـــاه الثورى يضوى ويضعف ، وبينما كانت وحــــدة القوى المحافظة المصلحية والسياسية تشتـــــد وتتبلور كانت وحدة القوى الثورية تتراخي وتبهت ، وكاد الامر يفلت من أيديها جميعا ، وكادت تقع فريسة للقوى اليمينية

وعلى عكس عناصر اليمـــين الذى كان ينشط وسط القبائل قبعت العناصر الثورية فى بروجها معتمدة على دعم الجمهورية العربية المتحدة للثورة ، وواثقة من مؤازرتهـا لها وهى التى فجرت الثورة ، وبدلا من أن تنـــزل الى الجماهير تشرح لها أهدافها وأهداف الثورة ، وتكون لها قاعدة شعبية تحميها وتحمى الثـورة قنعت بدورها فى تفجير الثورة وركنت اليه ، وعزلت نفسهـا عن الشعب رغم عطفه عليها

على أن الصراع اللاهب الذى شنته قوى اليمين المتحجر ضد وجوه الثورة لم يبق بغير أثر ، لقد كان له رد فعل ايجابى لدى هؤلاء ولو بعد حين ، فأخذوا يجمعون شملهم ، كنقطة بداية لجمع الشعب من حولهم ، ولمواجهة الاتجاه اليمينى بحزم . كذلك فان طبيعة الصراع وجوهر الخلاف أخذ يتضح امام الشعب أكثر فأكثر ، وأخذت عواطفـه تميل بجاذبية اشد فى اتجاه القوى التى تمثله ، وتمثل مصالحه ومستقبله ، فى اتجاه العنــاصر الثـورية قائدة وصانعة الثورة

ولقد أصبح الخط الثورى جليا وواضحا كما لم يكن ذات يوم ، وأصبح الاتجاه الثورى يجمع قوىواسعة من الضباط الثوار ، والمثقفين الثوريين والتجار الوطنيين . والعمال والفلاحين ، والجنود

ومع ذلك فان القوى ذات المصلحة فى الثورة لم تصبح بعد واعية لذاتها بما فيه الكفاية ، ولم تصبح بعد واعية لمصلحتها ولدورها السياسى والتاريخى كما ينبغى

غير ان طليعتها الواعية ، وقيادتها الثورية تملك أن تعلمها وتربى لديها الوعى السياسى ، وتتعهدها بالتثقيف الدائب والمستمر

وبمقدار ماينتصر الجناح الثورى فى صراعه ضدالجناح اليمينى يتفجر الوعى السياسى لدى الجماهير بغزارة أشد . وبالسرعة التى يحسم بها معاركه معه تكون سرعة تفتح هذا الوعى لدى الشعب

ان استمرار الثورة وتطورها متوقف على سحق الجناح اليمينى ومتابعة ركائزه وجذوره الاقتصادية والسياسية والادارية والاجتماعية والثقافية

وسحق الجناح اليمينى لا يعنى ابادته جسديا وان كانت ظروف الكفاح والثورة ونوع المقاومة التى تبديها العناصر الرجعية تستدعى العنف أحيانا . غير أن سحق الاتجاه اليمينى تتمثل اساسا في اخراجه من السلطة أولا ، وفى تحطيم القاعدة الاقتصادية التى يستند اليها ثانيا ، وفى عزله عن الحياة السياسية أخيرا

تلك خطوة لازمة لكى تسير الثورة اليمنية فى اتجاهها الوطنى والقومى ، وفى اتجاهها الاجتماعى والتاريخى

## ضرورة خلق جهاز سياسي واداري ثوري

مع اندلاع الثورة وخلال مرحلتهــا الاولى ، مرحلة النضال من أجل القضاء على الحكم المطلق الاستبدادي ، وتحطيم مقاومته ومرحلة الدفاع عن الثورة ضد هجمات الاستعمار والرجعية الملكية ، مرحلة التصدي للثــورة المضادة والحاق الهزيمة بها ، خلال هذه المرحلة يمكن أن تتعاون كل طبقات المجتمع بما فيهـا قطاع كبير من طبقة الاقطاع

ولكن ماتكاد هذه المرحلة توشك على الانتهاء . وتبـدأ المرحلة الثانية ، مرحلة التغيير الاجتماعي وقلب التركيب الاقتصادي والاجتماعي المتخلف ، مرحلة القضـــاء على النظام الاقطاعي ــ القبلي ، وعلى علاقات الانتاج الاقطاعية الاستغلالية وعلى العصبية القبلية ، مرحلة هدم البنـاء الفوقي الايديولوجي والسياسي ذي الطابع الاقطاعي ،هدم العقلية الاقطاعية ــ القبلية ، واسلوب التفكير الاقطاعي ــ القبلي ــ مرحلة ايجاد نظام اقتصادي ــ واجتماعي جديد، وعلاقات انتاج متطورة ، وتفكير سياسي متفتح ، وقيـم ومفاهيم ثورية ، ما تكاد هذه المرحلة تبدأ حتى تقف طبقة الاقطاع بدافع من مصالحها الاقتصادية والاجتماعيــــة والسياسية ضد السير في هذه المرحلة ، ضد التقدم الى الامام . وهكذا بينما تكون طبقة الاقطاع قـد لعبت في المرحلة الاولى دورا تقدميا نسبيا ، فانها تلعب في المرحلة الثانية دورا رجعيا خالصا

ان طبقة الاقطاع الرجعية تجد لها عادة ممثلين سياسيين وأيديولوجيين من الساسة والمثقفين والضباط وحتى من

بعض رجال الدين الذين بوعى أو بغير وعى يتخذون مواقعها ويدافعون عن مصالحها ويتبنون مفاهيمها ويسعون الى تجميلها وتزيينها وتحبيذها

ومن أجل القضاء على الاوضاع الاقطاعية الرجعية وتنفيذ مهام المرحلة الثانية فى الثورة لابد أن ينفصم التحالف السابق مع الاقطاع وممثليه ليحل مكانه التحالف بين قوى الشعب العاملة والثورية الممثلة فى الرأسمالية الصغيرة التجارية الناهضة ، والمثقفين الثوريين ،والضباط الثوريين ، والفلاحين والعمال

ان انجاز هذه المهام لن يتم دفعة واحدة ، انها مهام مرحلة كاملة ، ولكن لتأمين طريق الوصول اليها وضمان تحقيقها لابد من القيام بخطوة سياسية ضرورية وحاسمة لابد من تصفية الجهاز السياسى والادارى ليس من العناصر البيروقراطية المشبوهة بولائها للحكم الملكى فقط بل ومن العناصر الرجعية الاقطاعية وممثليها السياسيين والايديولوجيين ، لابد من القيام بعملية تطهير لجهاز الحكم . ان ذلك يشكل مفتاح المرحلة الثورية القادمة . فمن أجل مواصلة السير بالثورة لابد من خلق الجهاز السياسى والادارى الثورى . وبدون خلق هذا الجهاز لا يمكن السير خطوة ثورية واحدة الى الامام ، لابد أن يخلص جهاز الحكم للقوى الثورية وحدها ، القوى ذات المصلحة فى استمرار الثورة . ان استخلاص السلطة السياسية لقوى الشعب العاملة والثورية يشكل الشرط السياسى الحاسم للدخول الى مرحلة التغيير الثورية . وبدون أن تصفو آلة الدولة للقوى الثورية ليس فى الامكان مجرد تصور القيام بأية خطوة لتغيير الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الفاسدة وابدالها بأوضاع أخرى تقدمية .

وأكثر من ذلك فانه مالم يقض عـلى سـلطة المشـايخ الاوتوقراطية على القبائل التى كان الامام يحيى قد حد من نفوذها والتى اخذت الان تحل مكان سلطة الامام المطلقة ، ما لم ترفع يد الاقطاعيين عن التحكم فى الفلاحين وفى جهاز الدولة ، مالم تحصل الدولة على ولاء القبائل مباشرة بدلا من استجداء هذا الولاء عن طريق المشايخ مقابل تألف قلوبهم بالأموال ، مالم تنفذ سلطة الدولة الى الشعب مباشرة متخطية سلطة المشايخ الاوتوقراطية وقائمة على انقاضها ، ما لم يقض على الفوضى الادارية الناشئة من تعدد وتناقض السلطات ، مالم تبن سلطة مركزية مباشرة مهابة ، فانه ليس فى الامكان الحديث عن جهاز دولة عصرى حديث ، بله الحديث عن جهاز دولة ثورى ، وعن جهاز قيادى ثورى

واذا فان الخطوة السياسية الاولى العاجلة والملحة هى انشاء جهاز سياسى وادارى منظم حديث مركزى ثورى يستطيع حماية الثورة من مؤامرات الرجعية فى الداخـل والخارج ، واحباط مخططات الاستعمار الانتقـــامية والتآمرية ، ويضمن اقتحام الثورة مرحلتها الثانية ، مرحلة التغيير الشامل لاوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعيـــة والثقافية

ولكى يستطيع هذا الجهاز الثورى أن يمارس سلطتـــه لابد من خلق الجيش الوطنى القوى . ان هذا الجيش هو درع الدولة الثورى ، ويدها التى تبطش بها ، والفرقـــة الصدامية التى تقتحم بها مرحلة التغيير الثورية

# تغيير ثوري جذري

ان أهم ماينبغي أن تتسلح به ثورة من الثورات هو الصدق الثورى فى مواجهة المشكلة الاجتماعية ، والاقدام بشجاعة من أجل حلها . ولا تسمى الثورة ثورة بدون تغيير الوضع الاجتماعى القائم وابداله بوضع اجتماعى تقدمي جديد . أن الثورة ليست مجرد العنف ، او سفك الدم ، أو الاستيلاء على الحكم . ان ذلك قد يسمى وثبة او انتفاضة او انقلابا ، والثورة ليست حتى مجرد الاطاحة بالنظام الملكى واستبداله بنظام جمهورى رغم ما لهذا العمل من أهمية كبرى . ان الثورة عملية تغيير ثورية جذرية لحياة المجتمع ، تحدث نقلة تاريخية كاملة فيه وتحوله من نظام اجتماعى متأخر الى نظام اجتماعى متقدم ، من تركيب اقتصادى منحط الى تركيب اقتصادى متقدم ، من علاقات انتاج متأخرة الى علاقات انتاج جديدةمختلفة عنها اختلافا كليا . قال الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى اقتحم من قبلنا طريق الثورة متحدثا فى الميثاق عن خبرة ثورية : « والثورة هى الوسيلة الوحيدة لمغالبة التخلف الذى أرغمت عليه الامة العربية كنتيجة طبيعية للقهر والاستغلال . فان

وسائل العمل التقليدية لم تعد قادرة على أن تطوى مسافة التخلف الذى طال مداه بين الامم العربية وبين غيرها من الامم السابقة فى التقدم . ولا بد والامر كذلك من مواجهة جذرية للامور تكفل تعبئة جميع الطاقات المعنوية والمادية للامة لتحمل هذه المسئولية » ويقول فى مكان آخر : «ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ، ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة

« ان الثورة عمل ايجابى يستهدف اقامة أوضاع جديدة »

ان المجتمع اليمنى الذى طال تخلفه عن الحضارة لا يمكن الارتفاع به من وضعه المخجل هذا عن طريق الاصلاح والترميم والترقيع ومداراة ذوى المصالح ومساومتهم خوفا من تركهم لصف الثورة وانضمامهم الى صف الرجعية والاستعمار . ان السير فى هذا الطريق الاصلاح سيؤدى الى انتكاسة ماحقة للثورة ، وسيسلمها الى طبقة الاقطاع . قال الرئيس العربى عبد الناصر فى الميثاق موضحا أسباب فشل ثورة عام ١٩١٩م « ان القيادات الثورية اغفلت اغفالا يكاد يكون تاما مطالب التغيير الاجتماعى ، على أن تبرير ذلك واضح فى طبيعة المرحلة التاريخية التى جعلت من طبقة ملاك الاراضى أساسا للاحزاب السياسية التى تصدت لقيادة الثورة » وعلى ذلك فانه ينبغى نبذ الروح الاصلاحية والتشبع بروح الثورة فى مواجهة حل القضية الاجتماعية . ان منطق الاصلاحيين هو منطق ذوى المصالح وليس منطق الثوار . قال الرئيس عبد الناصر فى الميثاق عن تجربة فى العمل الثورى : « ان المنطق التقليدى فى مثل الظروف التى واجهها نضال الشعب المصرى كان يغرى

بطريق المساومات ، والحلول الوسط والتفكير الاصلاحى الصادر عن العطاء والتبرع . لقد كان ذلك بالمنطق التقليدى هو المكمن الوحيد فى مواجهة السيطرة الخارجية المعتدية والسيطرة الداخلية المستغلة وفى غيبة تنظيم سياسى مستعد ، وبدون نظرية كاملة للعمل

ولكن ارادة الثورة فى الشعب المصرى وصدقها تحدت هذا المنطق التقليدى وجابهته بتفجير طاقات مليئة بامكانيات العمل المبدع الرائع » ويقول فى مكان آخر :

« لقد كان يمكن أن يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو الى مجرد تغيير للوزارة القائمة أو لنظام الحكم »

وكان يمكن أن يتحول من ناحية ، ديكتاتورية تضيف الى التجارب الفاشلة تجربة اخرى فاشلة لكن اصالة الوعى الثورى وقوته سيطرت على اتجاهات الامور ومنحت جميع العناصر الوطنية ادراكا لدورها فى توجيه النضال الوطنى كذلك ففى هذه الفترة الدقيقة تمرد الوعى الثورى الاصيل على منطق دعاة الاصلاح واختار طريق الثورة الشاملة

ان احتياجات الوطن لم تكن تكتفى بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بقوائم تسنده واعادة طلائه وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب بناء جديدا ثابت الاساس . . صلبا شامخا

ولقد كانت أكبر حجة ضد منطق دعاة الاصلاح أن البناء القديم انهار انقاضا وركاما فى مواجهة التجربة الجديدة

ينبغى ان نتحدث بصراحة كافية . ان قطاعا محددا

من طبقة الاقطاع قد وقف الى جانب الثورة اليمنية ضد الاستعمار والرجعية . ان هذا الموقف يستحق التقدير لو كان فى امكان طبقة الاقطاع الا تقف ضد اجـــراءات الثورة فى ضرورة ادخال اصلاح زراعى ، وفى تحديد الملكية ووضع حد للاستغلال الاقطاعى . ان الذين يحاولون مقاومة اتجاه الثورة هذا سيكشفون عن مخططهـــــم السياسى وسيثبتون انهم لم يشتركوا فى الحرب الا من أجل مصالحهم الطبقية الضيقة . وفى هذه الحالة فانهم سيتركون جانب الثورة لانها اخذت تمس مصــــالحهم لينضموا الى جانب الرجعية والاستعمار . ان ذلك قـد يحدث فى اليمن كما حدث فى بلدان اخرى ، وليس هناك ضمانة دون حدوثه ولقد كان خروج ما أسمى بالجمهوريين المنشقين على الثورة والجمهورية نذيرا ودليلا على احتمال خروج طبقة الاقطاع على الثورة . وعلى الثـورة ان تكون يقظــة حازمة فى مواجهــة من يخـرجون عليهـــــا ، ويعارضون اجراءاتها الثورية ، ويفضـــلون التعـامل مع الاستعمار على التنازل عن مصالحهـــم الانانية ، قال الرئيس عبـد الناصر فى الميثـاق : « ان الشعب المصرى فى نضاله ضد الاستعمار استطاع أن يشل فاعليات طبقات من المجتمع القديم كانت قادرة على خداعه بالتظـــاهر باشتراكها فى حرب الاستعمار ، بينما هى فى الواقع متصلة فى مصالحها به . ان حرب التحرير التى كان يمكن بالمفهوم التقليدى أن تحتاج الى وحدة جميع الطبقــات فى الوطن حققت انتصارها فى الواقع حين حمت نفســها من ضربة خائنة فى الظهر . ان الشعب المصرى خاض معـــركة التحرير ضد الاستعمار ، ولم تخدعه المظاهر ، وحـرص طول المعركة على أن يعزل عن صفوفه كـل الذين ترتبط

مع الاستعمار مصالحهم فى مواصلة الاستغلال »

وفى مكان آخر يكشف الرئيس العربى طبيعة الرجعية اكثر حين يقول . « ان الرجعية تملك وسائل المقاومة . . تملك سلطة الدولة ، فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فاذا انتزع منها لجأت الى حليفها الطبيعى وهو الاستعمار . . »

ان الاسلام الذى يستوحى فى تشريعه مصلحة الجماعة يؤيد تحديد الملكية « واول مبدأ يقرره الاسلام ـ بجوار حق الملكية ـ أن الفرد أشبه شيء بالوكيل فى هذا المال عن الجماعة . وان حيازته له انما هى وظيفة أكثر منها امتلاكا ، وان المال فى عمومه انما هو حق للجماعة ، والجماعة مستخلفة فيه عن الذى لا مالك لشيء سواه . » ذلك هو رأى الاسلام فى الملكية . ويقول القائد العربى فى الميثاق : « لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم . ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان

ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم . . »

وباعتبارنا دولة اسلامية لابد لنا ان نخضع لهذا المنطق فى هذه المسألة الهامة ، والذين يقفون ضد تطبيق الدولة لهذه الشريعة الاسلامية باعتبارها

مسئولة امام الله وامام الشعب ، وامام التأريخ فانهم يكونون قد خرجوا على الله وعلى الجماعة وتحدوا شريعة الله ونظمه واصطدموا بأغلبية الشعب

فقط أولئك المشايخ الذين يضحون بأنانيتهم ،وينكرون ذواتهم ، ويتنازلون عن مصالحهم الضيقة لصالح الشعب يمكن اعتبارهم ثوارا . ومقابل مصالحهم الاقطاعيـــة ، ومقابل انفصالهم عن طبقتهم الاقطاعية يمكن أن يكسبوا احترام الشعب ، ويمكن أن يحصلوا على مكاسب مادية وسياسية وأدبية ومعنوية اكثر بكثير مما تنـــازلوا عنـــه كتعويض وتقدير لهم للمثل الاعلى الذى ضربوه

ان الجماهير الشعبية التى تشكل أغلبية الشعب هى التى آزرت الثورة دون تحفظ ودون مطمع آخـــر عدا تحقيق مطالبها العادلة . ان الفلاحين من القبائل هم جيش الثورة الشعبى ، ودفاعهم عن الثورة منحهـــم الحق فى الحصول على حق الحياة ، فى الحصـــــول على الارض . وهم لم يؤيدوا الثورة الا من اجل رفع الظلم الاجتماعى عنهم . انهم ما يزالون حتى الآن عبيد الارض ، أن معظم الاراضى التى يزرعونها ليســـــت ملكا لهم ، انها ملك الاقطاعيين الكبار أو المتوسطين أو الصغار ، انهم ليسوا اكثر من اجراء ، وفضلا عما فى هذا من الحيف والامتهان للكرامة البشرية فانه استغلال اقطاعى لا يجوز بقاؤه : لقد تحرر الفلاحون نسبيا من الضرائب الجـــائره ومن الاضطهاد السياسى للحكومات الســـابقة ، غير أنهم لم يتحرروا بعد من تبعيتهم للمالك صاحب الأرض . وما لم تقم الثورة بحل هذه المشكلة الاجتماعية فانها ستفقد قاعدتها الشعبية ، وهم جمهور الفلاحين . قال الرئيس

عبد الناصر فى الميثاق محللا اخطـــاء ثوار عام ١٩١٩ فى مصر :

« ان المحرومين كانوا هم وقود الثورة وضحاياها ،ولكن القيادات التى تصدت فى مقدمة الموجة الثورية عام ١٩١٩ باغفالها للجوانب الاجتماعية من محركات الانفجار الثورى لم تستطع أن تتبين بوضوح ان الثورة لا تحقق غاياتهـا بالنسبة للشعب الا اذا مدت اندفاعها الى مابعد المواجهة السياسية الظاهرة من طلب الاستقلال ووصلت الى أعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية • »

ان الوضع الاقطاعى الحالى فى اليمن قـــديم عتيق ، وجامد غير متحرك ، وبدون تغييره لن يكون فى امكاننا احداث ثورة زراعية فى البلاد . ان الكثـير من مشـــاكل اليمن متوقف على ضرب التركيب الاقتصادى الحالى المفرق فى التخلف ، ومالم يتحرر الانسان اليمنى اقتصاديا ، مالم يتحرر من عبودية الارض ومالم تصبح الارض تابعة له بدلا من ان يظل هو تابعا لها فانه ليس فى الامكان الحديث اطلاقا عن وجود حرية سياسية حقيقية . ان محك الثورة اليمنية ومقياس ثوريتها هو كيفية مواجهتها لهذه القضية الاجتماعية ، واكثر من ذلك فان مايحكم عليها كثورة هو تغييرها للعلاقات الاقتصادية الحالية القائمة فى الزراعة . وما لم تقدم الثورة على حل هذه المسألة فانها تفقـد صفتها كثورة ، بل وتحكم على نفسها بالفشل

يقول ذو التجربة الرئيس عبد النـــاصر فى الميثاق : « أن هذه الحركات الشعبية تسلم نفسهـــا بعد ذلك للواجهات الدستورية الخادعة وتتصور بذلك أن الحـرية السياسية استوفت حقوقها لكن هذه الحركات الشعبية تكتشف دائما وبعد فوات الاوان فى كثير من الاحيان انها

بقصورها عن التغيير الثورى فى معناه الاقتصادى سلبت الحرية السياسية ضمانها الحقيقى ولم تترك لنفسها منها غير مجرد واجهة هشة لا تلبث أن تتحطم وتنهار بفعل التناقض بينها وبين الحقيقة الوطنية »

ان خلق قيم اخلاقية جديدة ، وثقافة ثورية ، ووعى شعبى ، ويقظة وطنية ، وتفتح على المستقبل واقبال على الحياة المنتجة المثمرة كل ذلك متوقف على خلق علاقات اجتماعية جديدة لا مجال فيها للاضطهاد والاستغلال الطبقى من قبل ملاك الارض ازاء الفلاحين

يقول رائد العروبة فى الميثاق : « ان الشعب المصرى تحت ظروف هذه المعارك الثورية المتشابكة المتداخلة كان مصرا على أن يستخلص للمجتمع الجديد الذى يتطلع اليه علاقات جديدة تقوم عليها قيم اخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة »

ان ما نحتاج اليه للقيام بعملية التغيير الاجتماعى هذه هو الوفاء لمنطق الثورة والطليعة الثورية وارادة التغيير الثورية والاقتناع بسلامة ما نقدم عليه والفهم التاريخى لهذه المشكلة المزمنة والالتزام بشرعة السماء فى هذا السبيل ، والتطلع الى النتائج العظيمة التى حققتها شعوب اخرى سبقتنا الى معالجة مثل هذه المسألة الزراعية التى يتوقف على حلها انتعاش غالبية الشعب اليمنى

يتحدث الرئيس العربى فى الميثاق عن أدوات التغيير الثورية قائلا : « لكن العمل العظيم الذى تمكن الشعب المصرى من انجازه بالثورة الشاملة ذات الاتجاهات المتعددة يصنع حتى بمقاييس الثورات العالمية تجربة ثورية جديدة. ان هذا العمل العظيم تحقق بفضل عدة ضمانات تمكن

النضال الشعبى من توفيرها

اولا ـ ارادة تغيير ثورى ترفض أى قيد أو حد لحقوق الجماهير ومطالبها

ثانيا ـ طليعة ثورية مكنتها ارادة التغيير الثورى من سلطة الدولة لتحويلها من خدمة المصالح القائمة الى خدمة المصالح صاحبة الحق الطبيعى والشرعى وهى مصالح الجماهير ..

ثالثا ـ وعى عميق بالتاريخ واثره على الانسان المعاصر من ناحية ، ومن ناحية اخرى لقدرة هذا الانسان بدوره على التأثير فى التاريخ

رابعا ـ فكر مفتوح على التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها ، لا يبعد عنها بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد

خامسا ـ ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان

ان مايمكن الجزم به بيقين علمى انه ما لم يجر اصلاح زراعى فى البلاد فان الدولة ستخضع لتوجيه الاقوياء فى البلد . وهم الاقطاعيون . وستصبح الدولة دولتهم لا دولة الشعب بفلاحيه وعماله وتجاره ومثقفيه . وستكف الثورة حينئذ عن أن تكون ثورة . ان الذى يقرر طابع الدولة السياسى هو طابع اقتصاد البلاد ، وتركيب المجتمع الاقتصادى ـ والاجتماعى . فان كان هذا الاقتصاد وهذا التركيب الاقتصادى ـ الاجتماعى يقوم على الملكية الاقطاعية والاستغلال الاقطاعى فان الدولة حينئذ تكون دولة الاقطاعيين لا محالة ، وان كان طابع اقتصاد البلاد يقوم على الملكية الرأسمالية وعلى الاستغلال الراسمالى

فان الدولة حينئذ تكون دولة الرأسماليين ، وهكذا دواليك

يقول محطم الاقطاع والرأسمالية فى مصر فى الميثاق الوطنى عن علم بالامور : « انه من الحقائق البديهية التى لا تقبل الجدل ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع الاقتصادية فان كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق ان الحرية السياسية فى هذا البلد لا يمكن ان تكون غير حرية الاقطاع . انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية، ويعين الشكل السياسى للدولة ، ويفرضه خدمة لمصالحه . وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل ! »

ان ضرب العلاقات الاقتصادية الجامدة فى اليمن والقائمة على الاستغلال الاقطاعى ،وان توزيع الارض على الفلاحين لا يستجيب لمنطق العدالة والحق الشرعى لجماهير الفلاحين فى ثروة وطنهم فقط ، وانما يفتح ايضا طريق الثورة الزراعية المعتمدة على استعمال الالات الحديثة فى الحرث والحصاد ، وعلى تقديم الخبرة الفنية من قبل الدولة ، والقائمة على انشاء التعاونيات الزراعية . ان تحديد الملكية وتوزيع الفائض منها على جمهور الفلاحين لا يقضى على الفقر والبطالة فقط ، وانما يضاعف أيضا القدرة الانتاجية لدى الفلاحين وينمى الدخل القومى ، ويخلق قوة شرائية أكبر ، ويحقق الديمقراطية على نطاق الزراعة . ان الثورة الزراعية تتطلب أيضا استصلاح الاراضى البور الواسعة فى اليمن ، وتوزيع البعض منها على الفلاحين المعدمين والحاق البعض الاخر بالقطاع العام

أن القضاء على العلاقات الاقطاعية الاستغلالية ، وشن الثورة الزراعية يشكلان مفتاح النهضة الاقتصـــادية فى البلاد . وستعود اليمن حينئذ خضراء كما كانت وسيختفى الفقر . واذا لكى لا تفرغ الثورة من محتواها الثورى ، ولكى لا تفقد الرؤية الواضحة فى ضباب المعـــارك ولكى نضمن ولاء الشعب الذى يكون الفلاحون غالبيته العظمى علينا أن نرفع شعار الثورة الاول فى معركة البناء الجديدة وخلال عملية التغيير الثورية ، الا وهو : « الارض لمن يفلحها »

## امكانية تخطى مرحلة الرأسمالية

ان القضاء على النظام الاقطاعى لا يعنى أن اليمن ستدخل بالضرورة مرحلة النظام الرأسمالى ، ان الطبقة الراسمالية غير موجودة فى اليمن . وعدا الطاقم الاعلى من البرجوازية التجارية الصغيرة الذى يلعب دور الوسيط بين السوق الداخلية وبين الاحتكارات الاستعمارية فان البورجوازية اليمنية الناشئة لا خطر منها . أن هذا الطاقم الاعلى من البرجوازية اليمنية حتى ولو لم يكن تحت تصرفه رأس مال كبير فانه اخذ يمثل فى انيمن دور الكومبرادور «الرأسماليين الوسطاء» . أن عدد هذا الطاقم الاعلى من البرجـوازية الصغيرة محدود جدا ، وميله الى أن يلعب دور الوسيط بين الراسمال الاحتكارى وبين المستهلكين فى داخل اليمن لم يصبح بعد اتجاها متكامل الملامـــح . ومع ذلك فانه لا ينبغى التقليل من خطورة هذا الاتجـاه . ان الشركات التابعة للدول الاستعمارية تستطيع مثلا عن طريق كسب الوكلاء العموميين من الوسطاء التجاريين اليمنيين وعن

طريق العمولة التى تقدم اليهم مقابل عمالتهم وعن طريق توكيلهم لبيع نوع من السلع التى تورد اليهم يمكن أن يصبحوا مخلب قط للدول الاستعمارية وذيلا تابعا لرؤوس أموالها ، واداة لادخال نفوذها الى اليمن . ولهذا ينبغى محاربة هذا الاتجاه منذ الان قبل أن يستشرى ويصبح خطرا تتطلب مقاومته جهدا اكبر

واذا استثنينا هذا الجزء الاعلى من البرجوازية الصغيرة فانه يمكن القول ان فئة البرجوازية التجارية الصغيرة تلعب اليوم فى حياة البلاد دورا اقتصاديا هاما يتمثل فى فتح المتاجر واقامة المبانى ودور السينما والمسارح وانشاء الشركات الوطنية وغير ذلك ، فهى لهذا تقوم بعمل ايجابى فى حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية . أن فئة التجار الصغيرة تعتبر لهذا كله تقدمية الاتجاه ثورية النفس ، وينبغى علينا أن نشجعها ونوفر لها كل المساعدات الكفيلة بتنشيط عملها ومضاعفة سرعته ويجب احترام رأسمالها الخاص والمساعدة على تنميته ، بل ومن واجب الدولة ان تدفع البرجوازية التجارية الصغيرة الى استثمار رؤوس أموالها فى المشاريع الانتاجية الصناعية والزراعية ، اذ ان البرجوازية الصغيرة بسبب من عنف الاوضاع الاقطاعية ماتزال حتى الآن غير منتجة ، ولم تساهم بعد فى خلق أسلوب للانتاج جديد وعلاقات انتاجية واقتصادية واجتماعية جديدة . ان نشاطها الاقتصادى مايزال مقصورا على الاستيراد والتصدير ، وهو دور سلبى غير ايجابى ، وهو لذلك ما يزال يمثل شكلا اقتصاديا متخلفا بالنسبة لعملية التصنيع والانتاج الصناعى . ومع ذلك فان البرجوازية الصغيرة مهيأة لان تقوم بدور هام وضرورى فى عملية الانتاج الصناعية نتيجة تراكم رأسمالها

واكثر من ذلك فانه ينبغى ان يعود جميع اليمنيين

المهاجرين الى وطنهم واستثمار رءوس أموالهم فيه ولا بد أن توفر الدولة لهم كافة الضمانات التى من شأنها ان تساعد على ازدياد رؤوس أموالهم لصالح تعمير البلاد وتطويرها اقتصاديا

ومع ذلك ونظرا لضعف الرأسمال اليمنى الخاص وعدم قدرته على النهوض بالمشاريع الانتاجية الكبرى والطويلة الاجل وذات الانتاج الواسع والثقيل فانه ليس فى الامكان تصور نشوء نظام رأسمالى فى البلاد كما عرفته بلدان أخرى . ان القطاع الخاص لا يستطيع أن يحدث نهضة صناعية فى اليمن بجهده وحده ، انه قادر فقط على النهوض بالمشاريع الخفيفة والمساهمة فى المشاريع المتوسطة

اما التنقيب من ثروات البلاد الطبيعية واستغلال معادنها وتصنيعها بمقاييس واسعة ، وشق الطرق فيها واقامة منشآت الرى والمطارات والموانى ، ومكننة الزراعة، واستصلاح اراضى جديدة وما عدا ذلك من المشاريع الانتاجية الكبرى فانها مهام ستلقى على كل كاهل الدولة وستكون من اختصاص القطاع العام .

وبغير انشاء القطاع العام فى الصناعة والزراعة عن طريق توفير المدخرات واستغلال القروض الخارجية لهذا الغرض فانه لايمكن تصور القضاء على التخلف فى اليمن واحداث نهضة اقتصادية فيه

ومعنى ذلك أن على الدولة أن تضع خطة اقتصادية شاملة لتنمية البلاد ومتابعة التطور الاقتصادى فيها ومن أجل تقدم سريع ورخاء عاجل

ان القطاع العام القائم على التخطيط هو الذى سيحكم تطور البلاد الاقتصادى ، ويوجه القطاع الخاص ،ويعين مجال نشاطه ويراقبه ضمن الخطة العامة للتنمية

الاقتصادية ، وهو الذى سيساعد على سير البلاد فى طريق التطور غير الرأسمالى . وبذلك يمكن لليمن أن تتخطى حقبة تاريخية كاملة هى مرحلة الرأسمالية ، وللوصول الى هذا الهدف العظيم لابد من اتخاذ اجراءات مصاحبة لذلك ، لابد من تحرير السوق اليمنية من التبعية الاقتصادية للاحتكارات البريطانية ، لابد من تحريرها من سيطرة ميناء عدن عليها ، ولابد من الحيلولة دون ربط الاقتصاد الوطنى بعجلة أى دولة استعمارية اخرى من أجل ايجاد اقتصاد وطنى مستقل تماما . وذلك يعنى ايضا عدم السماح بادخال الشركات الاستعمارية الى البلاد . فمن أجل خلق القطاع العام فى الصناعة تستطيع الدولة أن تستغل المواد الخام الطبيعية والثروات المعدنية عن طريق أخذ القروض النزيهة واستقدام الخبراء من الدول الشقيقة والصديقة ، وان تنفذ المشاريع الانتاجية تحت ادارتها وبذلك تقفل الباب نهائيا فى وجه الشركات الاستعمارية وتلاعبها وحيلها ودسائسها ومؤامراتها . ولليمن كما للدول العربية المتحررة تجربة هامة مفيدة فى هذا الصدد مع الشركات الاستعمارية

ان القطاع العام التابع للدولة والمتحرر من كل نفوذ أجنبى لا يخلق القاعدة الاساسية للنهضة الاقتصادية ولا يوفر الاستقلال الاقتصادى فقط ، بل ويخلق الشروط الاقتصادية للسير فى طريق التطور غير الرأسمالى . فى البلدان التى وجدت فيها طبقة رأسمالية متطورة نسبيا أمكن السير فى طريق التطور غير الرأسمالى بالقيام بحملة من التأميم . اما فى اليمن حيث لا توجد مثل هذه الطبقة وحيث امكانيات نموها محدودة نظرا لتأخر نشوئها ولقلة رأسمالها ولطبيعة الفترة التاريخية التى أخذت تنمو فيها فان الاساس الذى سيتكون منه وسيستند اليه القطاع

العام والذى يمكن الانطلاق منه فى طريق التطور غير الرأسمالى لن يكون التأميم ، وانما بالدرجة الاولى خلق قاعدة اقتصادية واقتصاد وطنى عن طريق الدولة خلقا من الاساس . ولهذا فقد يتأخر لحاق اليمن بالدول العربية التى قطعت طريق التطور غير الرأسمالى

يقول قائد الثورة العربية محددا دور الرأسمال الخاص فى البلدان المتخلفة :

« ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات ..

« أن نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الا سبيلين للرأسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم:

أولها ـ أنها لم تعد قادرة على المنافسة الا من وراء أسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير ..

وثانيهما ـ أن الامل الوحيد لها فى النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية ، وتقتفى أثرها ، وتتحول الى ذيل لها ، وتجر أوطانها الى هذه الهاوية الخطيرة ..

ومن ناحية أخرى فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين ، وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح الانانى

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة

التحدى ، ان مواجهة التحدى لا يمكن أن تتم الا بثلاثة شروط :

١ ــ وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات

٢ ــ تجميع المدخرات الوطنية

٣ ــ وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج

ثم يدعو الرائد العربى من أجل النهوض الاقتصادى السريع ومن أجل السير فى طريق التطور غير الرأسمالى الى أمرين :

« أولهما ــ خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية

ثانيهما ــ وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال . على أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا . »

ليس هناك ما يدعو للشك فى أن اليمن فى ظل الثورة لن تسير فى غير هذا الطريق التاريخى ، طريق التطور غير الرأسمالى . ان ظروف اليمن الداخلية والظروف العربية المحيطة والمؤثرة بطبيعتها التقدمية على اتجاه التطور فى اليمن ، وطبيعة الحقبة التاريخية المعاشة ، تلك كلها عوامل تصنع امكانية تخطى مرحلة الرأسمالية فى اليمن ، وتحتم ضرورة السير فى طريق التطور غير الرأسمالى

# مجلس الشورى والديموقراطية

سبقت الاشارة فى مكان سابق الى أن الثورة أسقطت نظام الحكم المطلق وأعادت للصيغة الاسلامية المتعلقة بالحكم اعتبارها والداعية الى أن يكون الامر شورى بين الناس ، كما حملت الثورة معها مبدأ « الشعب مصدر السلطات »

وقد نص الدستور على حق الشعب اليمنى فى انتخاب ممثلين عنه فى مجلس الشورى غير ان انتخاب مثل هذا المجلس لا ينبغى أن يكون مجرد استمرار شكلى لمجالس الشورى فى الدولة اليمنية القديمة ، أو مجرد احياء لتقليد ايجابى فى تاريخ الشعب اليمنى ، بل ينبغى أن يكون تجربة ديمقراطية أكبر وأضخم بحكم طبيعة العصر الذى نعيش فيه . واذا كانت مجالس الرأى القديمة لم تكن تضم سوى كبار القوم وذوى الجاه والسلطان فان مجلس الشورى فى عهد الثورة اليمنية الحديثة ينبغى أن يضم جماهير الشعب العريضة التى حرمت من كل حق ديمقراطى

ان الديمقراطية السياسية التى تنبثق عن الثورات

تلعب دوراً هاما فى افساح الطريق أمام الثورة لاحداث تغيير اجتماعى واقتصادى فى المجتمع . ومع ذلك فانه يمكن التأكيد بقوة أن الديمقراطية على النطاق السياسى تظل ناقصة مالم تتحقق على النطاق الاجتماعى اولا .
فما لم تتغير الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الحالية ، ويحصل الفلاح على الارض ، ويحصل جميع المواطنين على حق العمل والعلم فان الديمقراطية السياسية تظل اطارا يفتقد المضمون

لذلك فان عملية اصلاح اجتماعية واقتصادية ينبغى أن تسبق انتخاب أى مجلس للشورى حتى لا يصبح مثل هذا المجلس فى حالة انتخابه فى ظروف القوى الاجتماعية القائمة حجر عثرة فى طريق أى اجراء أو تغيير ثورى يمس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الحالية

يقول القائد العربى فى الميثاق موضحا العلاقة بين الديمقراطية السياسية والاجتماعية :

« ان حرية رغيف الخبز ضمان لابد منه لحرية تذكرة الانتخابات .. »

وفى مكان آخرمن الميثاق يشرح هذه العلاقة بالتفصيل ويشير الى الشروط التى يمكن بتوافرها ايجاد الديمقراطية بمعناها السياسى والاجتماعى :

« أولا ـ ان الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية

ان المواطن لا تكون له حرية التصويت فى الانتخابات الا اذا توافرت له ضمانات ثلاث :

ان يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره

أن تكون له فرصة متكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية

أن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته

بهذه الضمانات الثلاث يملك المواطن حريته السياسية ، ويستطيع أن يشارك بصوته فى تشكيل سلطة الدولة التى يرتضى حكمها

ثانيا ـ أن الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات ، ان الديمقراطية حتى بمعناها الحرفى هى سلطة الشعب . سلطة مجموع الشعب وسيادته .. »

وبالنسبة لليمن فان أى تمثيل فى الظروف الحالية سيحول دون وضع أى خطة سياسية ، وينسف كل تخطيط ثورى ، ويقضى على كل احتمالات الثورة ، وأى انتخابات مهما كانت نزيهة ودقيقة وتحت الاشراف الكامل فانها لن تأتى الا بوجوه الرجعية من مشايخ الاقطاع وممثليهم السياسيين والفكريين

ان اقامة مجلس للشورى فى ظل الظروف الحالية لا يعنى الا تجميع الرجعية فى أخطر مؤسسات الدولة ، والا اعطاءها مؤسسة تشريعية ، ومنبرا تمثيليا شعبيا تكتسب به حصانة البقاء وتقاوم منه سير الثورة الى الامام وتصدر من خلاله قرارات تشريعية تتحكم بمقتضاها فى جهاز الدولة ، وتعين وتقيل بها الحكومة ، وتمكنها من مصادمة قيادة الثورة الى آخر ذلك من الاحتمالات الخطيرة ..

ان اقامة مجلس للشورى مسألة لم ينضج أوانها بعد ، وينبغى التمهيد لها بتحقيق اجراءات ديمقراطية أولية

على النطاق الاجتماعى والاقتصادى والثقافى عن طريق تغيير التركيب الاقتصادى والاجتماعى الحالى بطابعه الاقطاعى القبلى ، وعن طريق بث الوعى السياسى والديمقراطى من خلال معاهد التعليم ومؤسسات الاعلام

بذلك يهيأ المناخ الصالح لضمان صحة وسلامة وثورية اى تمثيل شعبى



# التنظيم الشعبي

ان شدة القهر والاضطهاد والكبت السياسي الذيمارسه الائمة ضد الشعب لم تتح امكانية نشوء تنظيمات سياسية في البلاد ٠ وان كانت قد أوجدت حركة معارضة اتخذت من عدن والقاهرة مراكز أساسية لنشاطها

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت المعارضةاشبه ما تكون بحزب سياسي ، الا ان هذا الحزب لافتقـــاده مقومات الحزب الكاملة من برنامج سياسي واضح ، ولائحة داخلية ، ونظام للعضوية وللانضباط الحزبي ، وماعـــدا ذلك اخذ يتمزق بفعل هذا كله من الداخل ، وتعصف به الاحداث السياسية المتلاحقة التي حولتـــه الى جماعات صغيرة مختلفة الاتجاه والرأي

وهكذا انفجرت الثورة اليمنية بقوة الضغـط الهائلة ، وبارادة التغيير المستبسلة للشـــعب اليمني دون تنظيم سياسي قادر على مواجهة تبعات الثورة ومشاكلها، ودون منهاج سياسي يقود خطى الثورة في خضم المشاكل المزمنة والمعقـــدة

لهذا تبرز قضية ايجاد تنظيم سياسي في البلاد بمنهاج

للعمل الثورى باعتبارها قضية الثورة التى يتوقف عليها سيرها فى طريق التغيير الاجتماعى والاقتصادى الشامل والواعى . ان أهمية التنظيم الشعبى تكمن فى انه سيكون الجهاز السياسى المنظم الذى يتولى عملية تحريك الدفع الثورى ، ومتابعة التقدم به الى الامام ، والذى يستطيع أن يتحسس مطالب الجماهير عن كثب ، ويعبر عنها بنقلها الى الاجهزة التنفيذية ، ويتعاون معها على حلها . والتنظيم الشعبى ينبغى أن يكون خاصا بالجماهير الشعبية ذات المصلحة فى الثورة من فلاحين ومثقفين وتجار ، وجنود

وعن فهم وتجربة تحدث القائد العربى فى الميثاق قائلا :

« ان التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد لها أن تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها، والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة ، كما أنها الطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان . ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية ضمان أكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية »

ان خلق تنظيم شعبى فى اليمن يقتضى ايجاد تعاونيات للفلاحين ، ومنظمة عامة للشباب ، واتحادا عاما لنقابات العمال ، واتحادا عاما للفلاحين ، واتحادا عاما للموظفين والمعلمين وهكذا دواليك

ان هذه التنظيمات تشكل روافد تصب فى التنظيم الشعبى ، واجنحة جانبية له . ان كل فرد من المواطنين سيتمكن من الانتساب الى التنظيم الشعبى عن طريق

الوحدة الاساسية التى يتبعها ويتم تشكيلها فى منطقة ممـلـه

ان ضرورة خلق القواعد الشعبية المنظمة التى منها يتشكل الجهاز الكلى للتنظيم الشعبى تتمثل فى انها أسهل طريق لايجاد التنظيم فى عموم اليمن ،ولان كل قاعدة من هذه القواعد تكون أقدر على معرفة المشاكل الخاصة بها ولانها ستشكل همزة الوصل بين قاعدة التنظيم وقمته

ان الوصول الى فهم سليم وحلول سليمة لمشاكل الجماهير لن يتم على النحو الافضل الا عن طريق القواعد الشعبية المنظمة . وفضلا عن ذلك فان هذا هو الطريق الديمقراطى الذى نضمن به حقوق الجماهير فى نقل وحل مشاكلها ، ومشاركتها فى توجيه وقيادة العمل الوطنى بمجموعه ، وتهيئة الفرص أمامها لانضاج عناصر قيادية تتقدم لأخذ أماكنها فى القمة

يقول قائد الثورة العربية فى الميثاق :

« ان التنظيمات الشعبية ، وخصوصا التنظيمات التعاونية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر فعال فى التمكين للديمقراطية السليمة .. ان هذه التنظيمات لابد ان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التي تلمس بأصابعها مباشرة اعصاب الجماهير ، وتشعر بقوة نبضها »

ان البلدان المتقدمة التى عرفت الصراع الحاد بين طبقاتها ذات المصالح المتناقضة قد عرفت النظام الحزبى حيث يمثل كل حزب مصلحة هذه الطبقة او تلك

ان اليمن كبلد متخلف زراعيا وصناعيا ، وكشعب

اضطهدت كل طبقاته وفئاته باستثناء طبقة الاقطاعيين لا يتحمل النظام الحزبى

وليس صدفة ان كثيرا من البلدان المتخلفة قد تنكبت السير فى هذا الطريق وأخذت بنظام الحزب الواحد ، أو التنظيم الشعبى الموحد الذى يجمع كل الجماهير الشعبية التى كانت مضطهدة من أجل تعبئتها مجتمعة للقضاءعلى التخلف المزمن ، ومن أجل التصدى لمشاكل التنميـــة والتطوير ، ومواجهة الرجعية والاستعمار

ان الذى يجمع بين هذه الطبقات الشعبية والفئـــات الوطنية ليس واقع أنها كلها كانت مضطهدة فقط ، وانما أيضا التقاؤها الموضوعى على هدف عام مشترك

ان ذلك لا ينفى وجود تناقضات بين هذه الطبقـــات والفئات غير ان هذه التناقضات تعتبر ثانويةوغيررئيسية على الاقل لمرحلة ، وفى الامكان حلها سلميا من خلال النضال المشترك وبالتدريج ، بل وفى الامكان الحيلولةدون اشتداد هذه التناقضات ، وكسر حدتها باجراءات ثورية فىاللحظة المناسبـــة

ان الشعوب العربية المتحررة لم تأخذ بنظـام التنظيم الشعبى الواحد ، أو الحزب الواحد من باب الصـدفة أو تنفيذا لارادة عليا . ان ذلك فى الواقع حصيلة طبيعيـــة لتجارب النضال السياسى والحزبى لعشرات السـنين ، وانعكاس لطبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية فىهذه البلدان ، وضرورة سياسية لحل المهام السياسية الكبرى التى يطرحها النضال العربى فى التحرر من الاستعمـــار والرجعية والاقطاعية ، ومن أجل السير فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى وطريق التطور غيرالراسمالى،والانتقال الى الاشتراكية

ان الشعارات الرئيسية التى تلخص مستقبل النضال العربي كله ، الا وهى التحرر الوطنى ، والاشـــتراكية الديمقراطية ، والوحدة القومية لايمكن أن ينهض بها فى كل بلد عربى على حدة الا تنظيم شعبى شامل لكل قـــوى الشعب الوطنية الوحدوية الاشــــــتراكية ، ولا يمكن ان تنهض بها الا حركة عربية واحدة تجمع كل التنظيمات الشعبية العربية المؤمنة بالتحرر والاشتراكية والوحدة

وبالنسبة لليمن فانه من الطبيعى والحتمى ان ينهض فيها تنظيم شعبى واحد يجمع كل قوى الشعب الوطنية والشعبية والتقدمية ، وفى أطاره يمكن ممارسة النقـــد والنقد الذاتى ، والتمتع بكافة الحقوق الوطنية الديمقراطية من نقد الاخطاء فى جهاز الحكم وتوجيهه الى الوقوف ضد تسلل الرجعية الى الحكم أو التنظيم الشعبى نفسه

ان تحريك الجماهير للعمل الثورى يتطلب تبصـــير هذه الجماهير بمصالحها وحقوقها ، واستثـــارة هممها لتحقيق هذه المصالح وهذه الحقوق . ان الثورة حـــق الجماهير ، وواجب الجماهير ليس هو الحفاظ على هـــذا الحق فحسب ، بل وترجمته الى منجزات مادية وروحية تحقق سعادتها

لهذا ينبغى الابتعاد عن الاسلوب الميتافيزيقى والديماجوجى فى الدعاية للثورة وعن أسلوب اثارة حماس الجماهير على غير طائل ، أن قيمة مثل هذا الاسلوب وقتية ، ولا تخلف فى أذهان الجماهير الا رؤى شاحبة غامضة .. ان ربط الجماهير الشعبية بالثورة لا يكون عن طريق شد معنوياتها الى الثورة فحسب ، وانما أيضا عن طريق تلبية حاجاتهـــا المادية بالثورة • واذا ما وعت الجماهير مصـــلحتها فى الثورة أصبحت قوتها الدافعة التى لا تغلب ولا تضلل •

واذا ما انقشعت من أمامها السحب ووضحت أمامها الرؤية ، وعرفت حركة التاريخ واتجاه التطور وارتبط نضالها اليومى بأهداف المستقبل فانها ستتمكن حينئذ من تخطى كل العقبات وصنع المعجزات

والجماهير الشعبية هى صانعة التاريخ وصانعة الابطال وقيمة البطل تكمن فى أنه فهم حركة المجتمع ووضع نفسه على قيادتها ، وفهم احتياجات الجماهير وتقدمها لتحقيقها

لذلك ينبغى أن تكون أهداف الثورة واضحة كل الوضوح أمام الشعب ، والشعب يملك من الطاقات الثورية ما يمكنه من تحقيقها

وعلى التنظيم الشعبى أن يعزل من صفوفه أولئك الذين قد يتسللون اليه ، ويتسلمون مراكز قيادية فيه ، ويحاولون تسخيره لاهدافهم الطبقية ، ومصالحهم الضيقة ، والذين قد يتصورون ان فى امكانهم تحويل الثورة الى امتياز خاص بهم أو يأملون أن يكونوا ورثة العهد البائد

ان على الجماهير أن تكون يقظة ازاء هؤلاء وأن تقصيهم من ميدان العمل الوطنى فور تكشف نشاطهم المعادى او المخرب للثورة ، أو المستهدف تحويلها عن طريقها الثورى

وهذه الدراسة تحاول ان توضح أهداف الثورة وترسم نهجها الوطنى مسترشدة فى ذلك بطبيعة الثورة الاجتماعية والسياسية . انها محاولة لاستبصار طريق الثورة موضوعة للمناقشة وقابلة للنقد والتطوير والتعميق ، انها دعوة لوضع منهاج وطنى للثورة

وأى منهاج او ميثاق وطنى مهما روعى فيه أن يكون معبرا عن مطالب الجماهير وعن أيديولوجيتها الثورية فانه بانتقاله الى ميدان التطبيق العملى بين يدى الجماهير

ووضعه تحت ممارستها يزداد عمقا وخصوبة ، وتكسبه الجماهير ذخيرة جديدة من تجاربها المفيدة

ومهمة واضعي النظريات السياسية أن يقوموا بجمع واستقراء تجارب الجماهير الجزئية والمتنوعة فى محاولة لتعميمها واضافتها الى المنهاج الوطنى

فالمنهاج او الميثاق الوطنى نظرة سياسية متفتحة على حقل التجربة تستمد منها اضافات نظرية ، وعمقا وأبعادا جديدة باستمرار

وهذه الدراسة التى نقدمها هنا لا تستوعب غير حقبة تاريخية بعينها وهى مرحلة انتقال المجتمـــع اليمنى من مجتمع اقطاعى ــ قبلى الى مجتمع يسير فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى غير الرأسمالى ، فهى تحاول أن ترسم سبيل الثورة اليمنية خلال فترة الانتقال الواقعة مابين الاقطاعية والاشتراكية ، وهى أشبه ما تكون بجسر نظرى للثورة يمتد الى المستقبل عبر مرحـــلة ركود التطـور الاقطاعية الى مرحلة الانطلاق الوطنية الديمقراطية

وعلى ضوء المنهاج الوطنى وتحت قيادة تنظيم شعبى يعيه ويجسده ويطبقه يستطيع الشعب اليمنى أن يقطع مرحلة الانتقال التاريخية ، من المجتمع الاقطاعى الراكد الجامد الى المجتمع المتحرر والمزدهر اقتصاديا واجتماعيــا وسياسيا

## الطائفية والعنصرية ظاهرة اقطاعية

الطائفية والعنصرية ظاهرة ملازمة للمجتمـــع الطبقى القائم على الاستغلال ، ايا كان نوع هذا المجتمع الطبقى ،

ولا تختفى الطائفية والعنصرية نهائيا فى أى بلدمن البلدان الا بالقضاء على الوضع الطبقى الذى نشأت فى حضـــنه ، وظاهرتا الطائفية والعنصرية فى اليمن نشأتا مع نشــوء المجتمع الاقطاعى وفى احضانه

فعندما دخل الدين الاسلامى ، دين التوحيد الى اليمن كان الناس قد انقسموا الى طبقات ، وكان المجتمع الاقطاعى قد أخذ يتكون ، ومدارس الاجتهاد الاسلامية التى نشأت فى الجزيرة العربية وفى غيرها من الاقطار العربية لقيت أتباعها فى كل مكان ، غير ان الامور لم تقف عند حد الخلاف الفقهى النظرى ، بل تطورت الى نزاع طائفى ، فاتبــاع هذه المدرسة الفقهية او تلك أصبحوا يشــــكلون طائفة اسلامية لا تدين بغير تعاليم مدرستها واجتهاداتها

وقد كان حظ اليمن من هذا النزاع الطــائفى كبيرا ، فالامراء الاقطاعيون الذين كانوا يختصمون فيما بينهم على حكم اليمن والذين أخذوا بتعاليم هذه المدرسة او تلك صبغوا صراعهم السياسى من أجل الحكم بصبغة مذهبية طائفية ، وظهروا كما لو كانوا يجاهدون من أجــل تعاليم الدين الصحيحة . وهكذا أصبحت اليمن مسرحا لحروب أهلية طاحنة ذات صبغة طائفية مذهبيــــة يقودها أمراء اقطاعيون بغرض الانفراد بحكم اليمن

من هنا فان الصراع المذهبى كان يعكس فى واقع الامر صراعا سياسيا بين أمراء الاقطاع ، كان صراعا مذهبيا فى الظاهر ، وصراعا سياسيا فى الواقع . وأصبح اتباع كل طائفة أشبه بجيش يقوده هـــــذا الامير الاقطاعى أو ذاك للوصول به الى الحكم

واصطبغ تاريخ اليمن الاسلامى بصبغة دامية محزنة نتيجة الحروب الاهلية ــ الطائفية اشباعا لمطامع أمــراء

الاقطاع المتصارعين . تحت هذه الظروف السياسية وفى أحضان المجتمع الاقطاعي اليمنى نشأت ظاهرة الطائفيةفى اليمن ، فهى لهذا ظاهرة اقطاعية وليدة الصراع بين الامراء الاقطاعيين وليست وليدة الدين .. فالدين الاسلامى كما

جاء به محمد النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا للتوحيد فى كل شيء . غير أنه منذ خرج من شمال الجـــزيرة الى مجتمعات كانت قد انقسمت الى طبقات وشرعت تتكون فيها ظروف اقطاعية كاليمن أخذ يتفرع الى مدارس فقهية، ولم يعد المسلمون يشكلون كما في عهد الخلافة الاول اتباع عقيدة واحدة فقط ، بل أيضا اتباع طوائف متعـــددة ، كالشوافع ، والخوارج ، والاسماعيليين وغيرها

اما اليمن فقد كان حظها أكبر من هذه الطوائف حيث نشأت فيها بالاضافة الى الطوائف السابقة الذكر طائفة الزيود ..

واذا فنشوء الطوائف لا يعود الى الدين الاســلامى فى ذاته ، فهو قد دعا الى وحدة المعتقد ، وانمـــا يعود الى ظروف طبقية واجتماعية وسياسية ، الا وهى الظروف الاقطاعية التى أخذت تتكون تاريخيا فى العالم العــربى والاسلامى بعد ظهور الاسلام

وعلى ذلك فالنزاع الطائفى لم يكن فى الواقع الا نزاعا اقطاعيا ، والتعاليم المذهبية المتناقضة ـ بقطع النظر عن طقوس العبادة ـ لم تكن الا انعكاســا للمصالح الاقطاعية المتناقضة . لقـــد لبست أهـــداف الامراء الاقطاعيين السياسيين ثوبا من التعاليم المذهبية

كذلك فان النزاع العنصرى بين القحطانية والعدنانية الذى لم تعرفه اليمن وحدها ، بل انتشر فى اقطار اخرى من العالم الاسلامى لم يكن هو ايضا الا صورة للنزاع القائم بين

امراء الاقطاع من أجل الحكم

فالقائد القادم من شمال الجزيرة العربية الى دمشق أو بغداد أو المغرب كان يستثير فى أبناء شمال الجزيرة روح العدنانية من أجل مساندته فى الوصول الى الحكم

والقائد اليمني القادم من جنوب الجزيرة العربيـــــة الى هذه الاقطار العربية الانفة الذكر أو غيرها كان يستثير فى اليمنيين روح القحطانية من اجل تقوية مركزه فى الصراع السياسى ومن أجل بلوغ السلطة . وليس هنـــاك بلد عربى أو اسلامى الا وعانى من هذا النزاع العنصرى بهـذا القدر أو ذاك . لقد كان نزاع القحطانية والعدنانية العنصرى يخفى صراعا سياسيا على الحكم بين أمراء الاقطاع . ولم يكن النزاع العنصرى الا ثوبا شفافا لحقيقة اجتماعيـــة وسياسية هى النزاع على السلطة . لقد كانت العنصرية هى الاخرى ظاهرة اقطاعية ، وليدة المجتمع الاقطاعى فى اليمن وخارج اليمن

وقد أخذت روح الطائفية والعنصرية تختفى من الاقطار العربية الاخرى لتحل محلها روح الوطنية ، وروح النضال ضد الاستعمار التركى والاستعمار الغربى والرجعيـــــة العربية المتعاونة معه

أما فى اليمن فقد كانت حركة النضال ضد الاحتـــلال العثمانى مقسمة حسب الوضع الطائفى ، والتجـــزئة الاقطاعية

وأكثر من ذلك فان النزاع بين الامامين الاقطاعيين ، الامام يحيى حميد الدين ، والامام محمد على الادريسى بسبب تهامة اليمن قد اكتسب طابعا طائفيا . وفوق هذا كله فقد أقام الامام يحيى دولته على أساس طائفى عنصرى

ونظرا لان شمال اليمن لم يبتل بالاستعمار الغربى الذى بليت به الشعوب العربية الاخرى فقد تأخر نشوء روح وطنية فيه تحل محل الروح الطائفية والعنصرية . وفى ظل الحكم الاقطاعى الطائفى العنصرى ، وخلف جدار العزلة الرهيب لم يكن الناس يجترون ويتنفسون غير سموم الطائفية والعنصرية

وهكذا فان دولة الأئمة قد ساهمت بقسط كبير فى تثبيت النظام الطائفى العنصرى وفى اشاعة روح طائفية عنصرية فى اليمن

غير أن الثورة اليمنية قد وجهت ضربة ساحقة الى نظام الامامة ، وقضت بذلك على التحكم الطائفى العنصرى الذى كان يمارسه الأئمة ، وساوى الدستور اليمنى بين المواطنين جميعا فى الحقوق والواجبات

تلك خطوة سياسية هامة فى طريق القضاء على الطائفية والعنصرية فى اليمن . الا ان القضاء النهائى على هذا الواقع لن يتم الا بالقضاء على الوضع الاقطاعى الذى اوجد هذه الظاهرة . وطالما ظل التركيب الاقتصادى والاجتماعى الحالى بطابعه الاقطاعى ــ القبلى فان ظاهرة الطائفية والعنصرية ستبقى قائمة

ان ضرب طبقة الاقطاع التي تتشكل من زيديين ، وشوافع ، واسماعيليين وقحطانيين وعدنانيين سيظهر جليا ان الامر يتعلق بثورة وطنية لا تفرق بين أحد بسبب نسبه أو مذهبه ، وأن المقياس الذى تأخذ به هو التفريق بين طبقة مستغلة وطبقة غير مستغلة ، بين فلاح فقير وشيخ اقطاعى ، بين الشعب العامل والاقطاع الطفيلى

ان أحداث ثورة زراعية تغير طابع العلاقات بين الناس

سيظهر ان هناك مصلحة مشتركة بين الفلاحين جميعهم في السهل والجبل ، في الشمال والجنوب ، وأن هناك وحدة معنوية تجمعهم جميعا ، بينما سيظهر أن الخصم الذى يستحق العداء هو الشيخ الاقطاعى الذى يأبى التنازل عن امتيازاته لصالح الشعب

كذلك فان اقامة مشاريع زراعية وصناعية تجتذب الناس من كل مكان فى اليمن ، ويعملون فيها سويا كفيلة بانشاء وتنمية علاقات جديدة تختفى فيها الطائفية والعنصرية تماما

فالعمال اليمنيون فى مصافى البترول فى عدن ، وفى القاعدة العسكرية البريطانية مثلا ، والذين ينتسبون الى هذه الطائفة أو تلك والى هذا العنصر أو ذاك قد نشأت بينهم علاقات جديدة حلت محل التعصب للطائفة أو العنصر ، علاقات من التضامن الطبقى، والمصلحة المشتركة، والكفاح المشترك ، والاخوة المتبادلة ، كما أن اقامة تنظيم شعبى يجمع كل المواطنين الثوريين من فلاحين ، وعمال وتجار ومثقفين كفيل بأن يصبح بوتقة وطنية تنصهر فيها الطائفية والعنصرية وتتشكل وتنضج فيها الوحدة الوطنية

وبالاضافة الى ذلك فان التوعية الوطنية والشعبية ؛ وانطلاق الحركة الديمقراطية الثورية ستلعب دوراهامافى القضاء على مشاعر التعصب الطائفى والعنصرى

وخلال العمل من أجل انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخلال عملية التغيير الثورية ستتلاشى نهائيا بقايا الطائفية والعنصرية وستنمو وتتصلب وحدة الشعب الوطنية

ذلك قانون اجتماعى لابد ان يفرض نفسه فى اليمن كما فرض نفسه فى غيرها من البلدان

# التنظيم الشعبى ظاهرة تاريخية جديدة

ربما كان طرح قضية التنظيم الشعبى ومعالجتها من قبل المثقفين من الامور الملحة والراهنة ، ليس لان قضية التنظيم الشعبى تعد قضية الساعة بالنسبة لثورتنا اليمنية فحسب وانما لان هذه المسألة تسحب نفسها أيضا على مستقبل النضال السياسى العربى ، بل وتمتد لتشـــمل الدول الوطنية حديثة الاستقلال

ان الاتجاه الى اقامة تنظيم شعبى واحـــد أمر لم تمله رغبات فرد أو أفراد فى فرض ديكتاتورية الحزب الواحد واذا كان ذلك جائزا بالنسبة للبلدان التى عرفت النظـام الفاشيستى فان ذلك غير وارد بالنسبة للبلدان النامية الحديثة التى لا تبرر ظروفها الاقتصادية والاجتماعية ظهور مثل هذا النظام

لقد ظهر النظام الحزبى أساسا فى الدول الصناعيـــة المتطورة حيث نشأت طبقات رأسمالية قوية ، ومعهـــــا نشأت طبقات عمالية قوية أيضا • ومن هنا تكونت أحزاب سياسية منظمة تنظيما عاليا تمثل الطبقات الرأسمالية ، أو الطبقات العاملة ، وأكثر من ذلك ، فقد عرفت هـــذه البلدان أكثر من حزب واحد للطبقة الواحدة ، حيث كانت هذه الاحزاب تمثل مصالح هذه الفئة أو تلك من الطبقات الرأسمالية أو العمالية ، ففى أمريكا مثلا يوجد الحزب الديمقراطي والحزب الجمهورى ، وكلاهما يمثل الطبقـة الرأسمالية الاحتكارية ، الا أن الحزب الديمقـــــراطى يمثل مصالح قطاع من هذه الطبقة ، وهو القطاع اليمينى ، بينما يمثل الحزب الجمهورى ذلك القطاع اليمينى المتطرف

كما أننا نشاهد فى بريطانيا حزب العمال ، والحـــزب الشيوعى ، وكلاهما يقول انه يمثل الطبقة العاملة الا أن قيادة حزب العمال تمثل فى واقع الامر الجزء الاعـــلى الارســـتقراطى و «المتبرجز» من الطبقة العاملة والذى تجمعه بالرأسمالية ، وبالاستعمار وبالذات الاستعمار الجديد مصالح مزدوجة وقوية .

وخلال الصراع السياسى الذى شنته الطبقات العاملة بدعم من جماهير الفلاحين وغيرهم من فئات الشعب الكادحة ضد البرجوازية الحاكمة والمتسلطة استطاعت الطبقـــات العمالية وغيرها من الجماهير الشـــعبية أن تكون أحزابا سياسية تمثل مصالحها وتنظم نشاطها السياسى ، فنشـأ نتيجة لذلك ما نسميه اليوم بالنظام الحزبى كتعبير عن الديمقراطية البرجوازية

الا أن الديمقراطية البرجوازية كثيرا ما كانت تتعرض لازمات سياسية فى فترات التسلط الفاشى حين كانت تجمع الفئات العليا اليمينية المتطرفة من البرجوازية الاحتكارية نتيجة أزمات الرأسمالية العامة ونتيجة صراعها المتوحش على الاسواق العالمية فتطلق العنان لديكتاتوريتهـــا وتلغى المؤسسات الديمقراطية والاحزاب السياسية المعارضـــة ، وتشيع الارهاب الدموى الطبقى والعنصرى فى الداخـــل وتنساق وراء مطامحها التوسعية ، ومغامراتها الجنونيـــة فى الخارج

***

من هذه المقدمة السريعة واللازمة عن النظام الحزبى ، والديمقراطية البورجوازية يتضح جليا أن هاتين الظاهرتين المتلازمتين كانتا نتاج وضع طبقى رأسمالى متطور ، نتاج وجود طبقات رأسمالية وعمالية قوية ، ونتاج تناقض حاد

بين مصالح الطبقات الرأسمالية من جهة ، ومصالح الطبقات العاملة من جهة أخرى • وفى مثل هذا الوضع كان من الطبيعى أن تقوم سياسة وايديولوجية الطبقة العاملة على أساس اسقاط حكم ديكتاتورية الرأسمالية الاحتكارية المستغلة ، واقامة حكم ديكتاتورية البروليتاريا محله • وقد نجحت الطبقة العاملة فعلا فى بعض البلدان المتطورة صناعيا وأقامت على أنقاض ديكتاتورية الرأسمالية ديكتاتورية البروليتاريا

عند هذه النقطة من الحديث يمكن التوقف لطرح السؤال التالى :

هل النظام الحزبى هو الشكل الصالح للعمل السياسى الديمقراطى بالنسبة للبلدان النامية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال بالنفى أو بالايجاب قد تبدو محرجة فى البداية ، غير أن استعراض الوضع التاريخى ، والحالة الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية للبلدان النامية كفيل بتحديد الاجابة الصحيحة •

لقد وجدت الشعوب الاسيوية والافريقية ، والامريكية اللاتينية نفسها منذ القرن التاسع عشر وقد تحولت الى مستعمرات أو شبه مستعمرات أو تابعة • وخلال السيطرة الاستعمارية عليها لم يكن فى الامكان نشوء برجوازية قوية فى بلدانها ، وبالتالى لم يكن فى الامكان نشوء طبقات عاملة قوية ، ذلك لان هذه البلدان لم تكن أكثر من أسواق لبيع المنتجات الاستعمارية ، ومواد خام طبيعية ، وقوى عمل بشرية رخيصة للدول الاستعمارية المتسلطة

من هنا انخرطت كل طبقات الشعب بما فيها البورجوازية الوطنية الاخذة فى النشوء فى تيار النضال الوطنى ضد السلطة الاستعمارية • ورغم المواقف المتذبذبة والمتراخية

التى كانت تبديها أحيانا بورجوازية المناطق المستعمرة خلال النضال ، ولاسيما الجزء الكومبرادورى منها ، الا أنهـا كانت من حيث الاساس تلعب دورا وطنيا هاما ، بخلاف طبقة الاقطاع التي كانت غالبا مرتبطة بالحكم الاستعمارى .
وبحكم الوضع الطبقى والرأسمالى الناشىء وبحكم التفاعل مع الاوضاع الحزبية داخل بلدان الدول الاستعمارية أمكن نشوء أحزاب مختلفة فى المناطق المستعمرة . الا انه نظرا لوقوع كل الطبقات والاحزاب تحت نير القهر الاستعمارى ونظرا لان التناقضات بين هذه الطبقات والاحزاب كانت ما تزال ثانوية بينما تظاهر التناقض الرئيسى والعدائى بين كل هذه القوى المضطهدة من جهة ، وبين دولة الاضطهاد الاستعمارية من جهة أخرى فقد شكلت طبقات الشـعب المستعبدة حلفا وطنيا فيما بينها ، كمـا دخلت الاحزاب المناضلة فى جبهة وطنية واحدة بهدف شن كفاح حـازم للاطاحة بالحكم الاستعمارى . وفى بعض المستعمرات أمكن أيضا أن تنخرط كل قوى الشعب الوطنية داخل تنظيم عام بما فى ذلك القوى اليسارية كما حدث مثلا بالنسبة لحزب المؤتمر الهندى تحت قيادة نهرو ، وكما حـدث بالنسبة للجبهة الوطنية « الناسـاكوم » تحت زعامة سوكارنو . لقد خلقت ظروف القهر الاستعمارى حركة تحرير وطنية عامة متحدة ، وساعدت ــ دون قصـد ــ على اندماج قواها الثورية فى جبهة وطنيـة ، او فى مؤتمر وطنى ..

غير أن هذه الوحدة الوطنيـة تفككت على أثر زوال السيطرة الاستعمارية المباشرة وبعد الظفر بالاستقلال . وفى بعض البلدان وبالذات فى تلك التى كانت قد نشأت فيها طبقة بورجوازية قوية نسبيا أمكن للبورجوازية استلام السلطة كما حدث فى الهند مثلا ولم تعد تهتم بغير اقصاء

كل نفوذ لقوى اليسار عليها • وفى بلدان أخرى حيث نشأت طبقة عسكرية رجعية تدعم البورجوازية المنحلة انتكست الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية انتكاسة أشد كما حدث ذلك أخيرا فى أندونيسيا • غير أن هذه الانتكاسات مرهونة بظروفها وموقوتة ، ولا تحول على المدى البعيد أو القريب دون حدوث نهوض ثورى جديد ، ودون قيام جبهة وطنية ، أو اتحاد ثورى لقوى الشعب الثورية بما فيها ذلك الجزء الثورى من البورجوازية الصغيرة والوطنية ..

أما هناك حيث كانت البورجوازية ضعيفة نسبيا وحيث شكل الفلاحون والعمال عمود الحركة الوطنية وقيادتها فقد أمكن نشوء جبهة وطنية واحدة دامت حتى بعد الاستقلال وأمكن أن يقوم تحت رايتها حكم وطنى ديمقراطى سرعان ما تطور الى حكم اشتراكى كما حدث مثلا فى الصين الشعبية ،وكوريا وفيتنام الديمقراطية .ورغم ان الحكم الاشتراكى هنا قد قام تحت علم ديكتاتورية البروليتاريا الا أن قاعدته الجماهيرية قد تشكلت أساسا من الفلاحين ، وهذا هو الجديد الذى قدمته الحركة الثورية فى الصين الشعبية ، وفيتنام وكوريا الديمقراطيتين كانعكاس لواقع ظروفها الداخلية وكتعبير عن واقع أنها كانت تسودها نفس الاوضاع العامة التى تسود فى بلدان الشرق الزراعية المتخلفة ..

وذلك هو الفارق الذى يميز تجربة الحكم الديمقراطى والاشتراكى فى الصين الشعبية وفيتنام الديمقراطية وكوريا الديمقراطية عن تجربة الحكم الديمقراطى والاشتراكى فى روسيا وأوروبا الشرقية حيث كانت الطبقة العاملة في هذه البلدان تشكل عمود الحركة

الديمقراطية والاشتراكية نظرا للتطور الصناعى النسبى فيها ولوجود طبقة عاملة أكثر قوة ، وتمركزا ، وتجربة ، وتنظيما ..

لقد نشأ النظام الحزبى فعلا فى كثير من البلدان المتخلفة التى وقعت تحت الحكم الاستعمارى تأثرا بالاوضاع الحزبية فى البلدان الاستعمارية ، وتعبيرا عن وجود طبقات رأسمالية وعمالية ناشئة فى البلدان المستعمرة ، الا أن هذه الظاهرة ذات الاصل الاوربى والغربى لا تعكس فى الواقع عمقا تاريخيا أو اجتماعيا بالنسبة للبلدان الزراعية المتخلفة ولا تشكل ظاهرة تاريخية أصيلة تعبر عن أبعاد واقعها ، ذلك لأنها لا تستند الى واقع اقتصادى واجتماعى يضاهى الواقع الاقتصادى والاجتماعى الغربى بطابعه الصناعى والرأسمالى المتطور والذى يشكل خلفيتها وقاعدتها التى نمت وتطورت عليها . ان ظاهرة النظام الحزبى فى الدول الحديثة أخذت تفسح المجال لظاهرة جديدة أكثر اصالة وصحية وأكثر تعبيرا عن الظروف الموضوعية الخاصة وأكثر صلاحية واستجابة لمتطلبات النضال الوطنى والديمقراطى ، ألا وهى ظاهرة التنظيم السياسى الواحد لكل قوى الشعب الثورية . وبمقدار ما يتلاشى حكم البورجوازية المحلية لصالح حكم الجبهة الوطنية يتلاشى بالتالى وبالتدريج النظام الحزبى ، اذ أن حكم الجبهة الوطنية الذى يتضمن فى نفس الوقت وجود أحزاب متآلفة سيفسح المجال لعملية تاريخية ينصهر خلالها هذا التآلف الحزبى مشكلا فى آخر الامر تنظيما شعبيا واحدا ، أو حزبا شعبيا واحدا ..

ان مثال كوبا التى سقط فيها حكم الاستعمار ، وسقط معه فيها حكم الفئة العميلة من البورجوازية المحلية وحكم

الاقطاع قد برهن ، ليس فقط ، على امكانية تخطى النظام الحزبى ، وايجاد حكم الجبهة الوطنية ، وخلق وضع وطنى ديمقراطى تحت لوائها ، بل وعلى امكانية انصهار كل القوى الثورية وحتى الحزبية منها ضمن بوتقة واحدة ، ضمن حزب ثورى واحد يجر وراءه جماهير عريضة ، ويسير بها وبالبلاد فى طريق تصفية الوضع الرأسمالى الباهت ، وفى طريق اقامة صروح الاشتراكية

ان نشوء تنظيمات شعبية واحدة فى غينيا ومالى وتنزانيا مثلا تستقطب كل قوى الشعب الوطنية بهدف القضاء على التركيب القبلى شبه الاقطاعى ، وللتصدى للاستعمار والاستعمار الجديد ومن أجل السير فى طريق اقامة حكم وطنى ديمقراطى ، وطموحا الى المضى فى طريق بناء الاشتراكية ليقدم دليلا اخر على عدم وجود أرضية خصبة ، أو مناخ طبيعى لبقاء ووجود النظام الحزبى فى القارة الافريقية ..

ان سلوك القارة الافريقية لطريق النضال الوطنى كفيل بأن يصهر بلهبه كل القوى ، ويذيب كل الكتل الثورية فى وحدة نضالية ، وفى جبهة وطنية ، وفى تيار وتنظيم شعبى واحد ، يقودها على طريق التطور الوطنى الديمقراطى وعلى طريق التقدم الاجتماعى . ان نفس التطور فى هذا الاتجاه التاريخى يفرض نفسه ، وربما بفعالية أشد على القارة الاسيوية ، أو على تلك البلدان التى ما تزال تناضل بدأب من أجل تصفية بقايا السلطة الاستعمارية ، والاقطاعية ، وحلفائهما من البورجوازية الكومبرادورية ، ومن أجل اقامة حكم وطنى ديمقراطى

من هذا العرض العام والموجز يمكن لنا أن نستخلص النتائج الآتية :

١ ـ ان ظاهرة التنظيم الشعبى الواحد ظاهرة تاريخية جديدة تخص البلدان النامية وحدها حيث تسود أوضاع طبقية ، وتركيب اقتصادى واجتماعى مختلف كما وكيفا عن أوضاع وتركيب البلدان الرأسمالية التى بلغت مرحلة الاستعمار

٢ ـ ان هذه الظاهرة السياسية والتنظيمية انعكاس للتركيب الطبقى الخاص فى البلدان النامية حيث أن العلاقات الزراعية هى العنصر السائد ، وحيث يشكل الفلاحون نتيجة لذلك أوسع وأعرض طبقات المجتمع ، وحيث لم تصل التناقضات بين الطبقة الرأسمالية الناشئة وبين الطبقة العاملة الوليدة الحد الذى بلغته فى البلدان الصناعية والرأسمالية المتطورة ، وحيث نسبة القوى بين طبقات الشعب وفئاته الثورية وبين الجزء الاعلى من البرجوازية الاحتكارية والكومبرادورية تميل لصالح القوى الثورية التى تجمعها مصالح مشتركة ، وتوحدها مهمة موضوعية مشتركة

٣ ـ ان جماهير التنظيم السياسى المهيأة موضوعيا وذاتيا للانخراط فيه والتى تجمعها ضمن اطاره مصالح عامة مشتركة هم طبقة الفلاحين والعمال ، وفئة المثقفين الثوريين ، والبورجوازية الصغيرة ، والجناح اليسارى والمتوسط من البرجوازية الوطنية . وبالتالى فان هذا التنظيم يستثنى بحكم مهمته الموضوعية والتاريخية طبقة الاقطاع ، والبورجوازية اليمينية والاحتكارية والكومبرادورية ، ويجعل من أهدافه العملية القضاء على هذه القوى الرجعية

٤ ـ أن ظاهرة التنظيم الشعبى ما تزال فى حالة جنينية ، وفى مرحلة الاختمار والتكون ، وهى كأى ظاهرة اجتماعية

أخرى تمر بمرحلة نشوء ونمو وتطور . ويمكن العثور على جذورها التاريخية فى حقبة النضال الوطنى المشترك الذى سبق عهد الاستقلال ، حيث التحمت فى هـــذه الحقبة الوطنية كل القوى الثورية فى جبهة وطنية واحـدة أو فى مؤتمر وطنى واحد ، وتطور هذه الظاهرة عملية تاريخية لم تستكمل مداها بعد

٥ ـ ان التنظيم الشعبى باعتباره تجمعا لقوى الشعب الثورية فى الدول الوطنية حديثة الاستقلال يختلف عن تلك التجمعات أو الجبهات الوطنية التى نشأت فى أوربا خلال الازمات والحروب لمهمة مؤقتة ومحدودة كدرء خطر فاشى ماحق انتهت بعد زواله ، وانما هو حشد وتنظيم لقوى وطنية وديمقراطية من أجل تحقيق مهام استراتيجية بعيدة المدى تتمثل فى انجاز واستكمال الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وفى القضاء على الاوضاع القبلية والاقطاعية ، وعلى أوساط البورجوازية الاحتكارية والكومبرادورية ، وفى سلوك طريق التطـــور الوطنى الديمقراطى وطريق التطور غير الرأسمالى

٦ ـ أن التنظيم السياسى فى مرحلة عليا من مراحـــل تطوره يستلزم اعادة النظر فى بعض تركيباته ونوعياته ، يستلزم صقل بنيته العضوية ، وفرز بعض عنـــاصرها المستهلكة والتى لا تستطيع السير الى نهاية الطريق ، ويستلزم تطوير وتعميق أيديولوجيته

٧ ـ أن هذا التنظيم فور استكماله طريق التطـــور الوطنى الديمقراطى ودخوله بهـــذا البلد أو ذاك مرحلة الانتقال الى الاشتراكية يتطلب ايجاد قيادة سياسية من النوع الاشتراكى الخالص تمثل تحالف العمال والفلاحين داخل التنظيم وتمثل مصالحهما العميقة فى الاشـتراكية ،

وتكفل دراسة وتطبيق قوانين وأساليب التطور الاشتراكى

٨ ـ أنه اذا جاز الا تبنى الاشتراكية فى بعض البلدان المتطورة صناعيا ، رأسماليا وطبقيا الا تحت علم ديكتاتورية البروليتاريا • فان التنظيم الشعبى فى الدول حديثة الاستقلال بقيادته الاشتراكية والعلمية يقدم البديل الذى يمكن به بناء الاشتراكية

٩ ـ أن ظاهرة التنظيم الشعبى كما انها وليدة عوامل داخلية تتمثل فى مجموعه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الخاصة بالبلدان النامية فانها كذلك أيضا نتاج عوامل خارجية عامة أملتها الحقبة التاريخية التى وصل اليها التطور العالمى ، فبلوغ الرأسمالية فى البلدان المتطورة مرحلة الشيخوخة ، مرحلة الاستعمار ، وانهيار النظام الاستعمارى منذ الحرب العالمية الثانية بمقاييس سريعة ، ونهوض نظام اشتراكى عالمى ، واستحالة قيام رأسمالية متطورة فى الدول حديثة الاستقلال ، وضعف وانحلال بعض قطاعات البورجوازية فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة ، ونهوض وتطور حركة التحرير الوطنية واتجاه قطاعات واسعة منها الى تبنى مفاهيم الاشتراكية ، وسير العالم فى طريق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، كل ذلك يشكل المناخ التاريخى الملائم الذى ولدت فى ظله ظاهرة التنظيم الشعبى الواحد لكل قوى الشعب الثورية كصيغة سياسية وتنظيمية تكفل السير بالبلدان النامية فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى وفى طريق الاشتراكية

***

والان ما مدى بروز هذه الظاهرة فى بلداننا العربية باعتبارها تنتسب الى الدول النامية حديثة الاستقلال ؟

ليس هناك شك فى أن ملامح هذه الظاهرة هى أوضح وأبرز ما تكون فى بقعتنا العربية التى تخطت اشعاعاتها ومثلها وتجاربها الثورية آسيا وافريقيا الى أمريكا اللاتينية

فبعد الصراعات الحزبية والمريرة بين القوى الوطنية العربية ، ونتيجة للاحتكاك والتفاعل الحاد فيما بينها ، وحصيلة لفترة سياسية من الاختلاف على مفاهيم الوحدة والاشتراكية ، ومن الانقسامات داخل الحزب الواحد ، ومن تمزق التنظيمات الواحدة الى حلقات ، وبفعل الهجوم الاستعمارى على كل القوى التقدمية مستغلا خلافها وتمزقها ونتيجة لبروز التناقض الرئيسى والعدائى بينها مجتمعة من جهة ، وبين القوى الرجعية والاستعمارية مجتمعة من جهة أخرى ، وبفضل وضوح مفاهيم وشعارات الامةالعربية فى الحرية والاشتراكية والوحدة أمكن التفاهم واللقاء أخيرا بين فصائل حركة الثورة العربية ، وظهرت حتمية توحيد القوى التقدمية العربية على النطاق الوطنى والقومى معا

لقد أدركت القوى الثورية العربية كلها أن خطر الصهيونية الداهم والمتفاقم لا تتأتى مواجهته وهى منعزلة عن بعضها ومتفرقة ، كما أدركت أن أخطبوط الاستعمار الذى يلف الوطن العربى ، ويطوق حتى الدول العربية المتحررة فيه لا يمكن سحقه بدون اتحاد كل القوى الثورية ضده ، ولمست أكثر من ذلك أن الرجعية العربية المتحالفة مع الاستعمار والتى تجمعها مع الصهيونية كراهيتها الشديدة لحركة الثورة العربية ليس من السهل التصدى لها بينما جبهة القوى التقدمية منقسمة على نفسها ، واتضح لها فوق ذلك كله أن الرجعية العربية بقيادة الرجعية السعودية قد أخذت تحشد الانظمة الرجعية فى الشرق الاوسط كله فى جبهة واحدة ومن أجل اقامة حلف

رجعى استعمارى تحت ستار الدين وباسم محاربة الالحاد والشيوعية ، وبناء على مخطط استعمارى مدروس تناصره الصهيونية فى محاوله منها لتوجيه ضربات انتحارية لكل القوى والانظمة الثورية المتحررة فى الوطن العربى فى الوقت الذى ظلت فيه تدعو - الهاء منها لهـذه القوى والانظمة الثورية عن نشاطها المحموم ضدها - الى ضرورة التمسك بسياسة مؤتمرات القمة وميثاق التضـامن العربى ..

لقد أضحت قضية وحدة القوى الثورية العربية قضية حياة أو موت ، قضيه دفاع عن النفس ، وعن كيان الثورة العربية ، ومن أجل ضمان بقائها واستمرارها وتطورها .

من هنا يمكن لنا فهم المغزى البعيد لموقف رائد الثورة العربية الملهم الرئيس جمال عبد النـاصر حين أوقف مؤتمرات القمة العربيـة ودعا الى وحـدة العمـل الثورى العربى ، ووحدة القوى التقدمية العربية ، وحين أكد على ضرورة العمل الدائب من أجل تصفية خلافاتهـا الثانوية تحقيقا لهذه الوحدة ومن أجل مواجهة قوى الرجعية والاستعمار ، والصهيونية وانجاز مهام الثورة العربيـة الكبرى فى التحرر الوطنى ، والوحدة القومية ،والاشتراكية الديمقراطية ..

فما هو الشكل الذى اتخذته أو يمكن أن تتخذه وحدة القوى التقدمية العربيـة ؟ ان وحدة القوى الثورية العربية على النطاق القومى تتطلب أولا وحدتهـا على النطاق الوطنى . فهل تحققت مثل هـذه الوحدة أو تحقق نموذج لها فى أى من الاقطار العربية وفى أى شكل من الاشكال ؟

ان الاجابة على هـذا التساؤل قدمتـه فى الواقع

الجمهورية العربية المتحدة فى شـــكل الاتحاد العربى الاشتراكى ..

ان أهمية هذا الشكل التنظيمى تتمثل فى أنه كان أول تنظيم عربى رائد لقوى الشعب الثورية تخطت به الجمهورية العربية المتحدة مرحلة النظام الحزبى ، ونظام الجبهة المؤتلفة ، وانتقلت به مباشرة عبر الحكم الوطنى الديمقراطى الى مرحلة أكثر تطورا وتقدما ، مرحلة السير فى طريق بناء الاشتراكيه.

ولضمان نجاح هذه المسيرة الجديدة شرعت القيادة الثورية فى تشكيل حزب أوجهاز سياسى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى من عناصر اشتراكية خالصة تتوفر فيها روح الثورة الاشتراكية ، والعلم بقوانينها وأســاليب تطبيقها

وبذلك أصبح الاتحاد الاشتراكى العربى ممثلا فى قاعدته العريضة لتحالف جماهير الشـعب الغفيرة والثورية من فلاحين ، ومثقفين ، وجنود ، ورأسمالية وطنية بينمــا تمثل فى قمته العليا ، فى جهازه الســياسى الاعلى وفى الاجهزة التمثيلية المنبثقة عنه تحالف العمال والفــلاحين بغالبية مالهما من مقاعد بحكم مصــلحتهما العميقــة والطبيعية فى الاشتراكية ، وبحكم صلاحيتهما للنهوض بدورهما التاريخى والطبيعى فى قيادة الثورة الاشتراكية

وتبرز الدلالة الديمقراطيـــة والتقدمية للاتحــاد الاشتراكى العربى أكثر فى واقع أن الشيوعيين المصريين أدركوا ذلك ، وأدركـــوا فوق ذلك ضرورة حل حزبهم الشيوعى الذى كان قد انقسم الى أحزاب وكتل مختلفة وأخذوا ينتسبون الى التنظيم الشعبى الجديد بشــكل فردى ، ويمارسون فى اطاره ومن خلاله مــع غيرهم من

القوى الاشتراكية والشعبية الاخرى حقوقهم الديمقراطية وواجباتهم بالمساهمة فى دفع البلاد فى طريق التقـــدم الاشتراكي فى ظل مبادىء الميثاق والقيم الاساسية للثورة والولاء الكامل لقيادته

من ذلك كله يتضح أن الاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة بوضعه الحـــالى وقابليـــه تفتحه وتطوره المقبل يعتبر أنضج واعمق تجربة سياسية وتنظيمية ليس بالنسبة للدول العربية فقط وانما بالنسبة لمجموع الدول الوطنية حديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا، ويعتبر مثلا رائدا بالنسبة لهذه الدول ، ودلالة قوية على الامكانيات الواسعة لنمو وتطور وتكامل ظاهرة التنظيم الشعبى فى البلدان الوطنية الحديثة كظاهرة ســـياسية وتنظيمية جديدة

والتنظيم السياسى فى الجمهورية العربيـــــة المتحدة بقاعدته الشعبية الواسعة ، وقيادته الاشتراكية الواعية ، وميثاقه الوطنى والعلمى ، وبقابليته للتفتح والتطور أكثر فكريا وتنظيميا يقدم فى الواقع كل الشروط السياسية ، والتنظيمية ، والفكرية اللازمة للانتقـــــال من مرحلة الرأسمالية الى الاشتراكية دون حاجة الى ديكتــــاتورية البروليتاريا

ولقـــد كان حزب جبهة التحرير الجزائرية ممثلا بكل القوى الوطنية الديمقراطية والاشــــتراكية التى انخرطت فيه ، وبميثاقه الوطنى والعلمى يمثـــل تجربة سياسية وتنظيمية وفكرية بالغـــــة الاهمية والروعة استطاعت بها الجزائر اقامة دولة ديمقراطية وطنيـــة تقدمية بل والسير خطوات فى طريق التقدم الاشتراكى

والثورة الجزائرية تتمتع بحيوية وحرارة تكفل لهـــا

مواجهة كل المشاكل التى تواجهها وصهر كل أعراض الخلافات الداخلية فى صفوفها

ان الاتجاه الى اقامة تنظيم شعبى يضم كل القوى القومية والتقدمية أصبح من قضايا الساعة بالنسبة للعراق . ولقد كان من الطبيعى أن تكون خطوات العراق فى هذا الاتجاه بطيئة وثقيلة نظرا لتقاليده الحزبية القوية نسبيا ، وللصراع المرير الذى نشب بين قواه الوطنية ولروح الحذر والتحفظ بين فصائله الثورية ، والنشاط المحموم لقوى الرجعية والاستعمار ، ومحاولاتها المستمرة ابقاء الصدع قائما والجرح داميا بين أجنحة الحركة الوطنية الديمقراطية هناك .

غير أن سقوط حكومة البزاز واستلام السلطة من قبل حكومة ساعية أكثر الى تحقيق الوحدة الوطنية والديمقراطية بين العرب واخوانهم الاكراد ، ومنفتحة أكثر على الخط الوطنى والقومى وعاطفة أكثر على الاتجاه الديمقراطى والاشتراكى ، وراغبة أكثر فى أفساح المجال للقوى القومية والتقدمية لاقامة تنظيم شعبى ولتفاعل حى مع تجربة الاتحاد الاشتراكى فى ج.ع.م ، ومتمسكة أكثر بالقيادة السياسية الموحدة ، ان كل ذلك يخلق الشروط الملائمة لقيام ونمو وتطور تنظيم سياسى فى العراق يستوعب ولو بالتدريج كل قواه الوطنية ، والقومية ، والاشتراكية ، ويكفل دفع العراق فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى ، وفى طريق التقدم الاشتراكى

وفى سوريا اليوم حيث تتسلم السلطة فيها حكومة تقدمية نشطة تحطم قواعد الرجعية وعناصر الانفصال ، وتشيع فى أنحاء سوريا جوا مشبعا بالروح الثورية العالية ، وتتجه

بها صوب التعاون مع القوى الثورية فى الداخل ، ومع القوى الثورية على النطاق العربى تتفتح امكانيات خصبة وواسعة لقيام جبهة وطنية تقدمية تجمع كل القوى الثورية ، على أساس من الايمان بوحدة الثورة العربية وأسسها الاشتراكية

***

ويبدو أنه فى بلد كسوريا عرف بتقاليد حزبية متطورة ويحكم بواسطة حزب واحد هو حزب البعث ، ان الشكل الانسب لتوحيد قواه الثورية فى المرحلة الحالية هو انخراط جميع الاحزاب والمنظمات والشخصيات التقدمية فى جبهة وطنية واحدة من أجل اقامة حكم الجبهة الوطنية المؤتلفة ولتقدم سوريا بنجاح فى طريق الاشتراكية ..

ان انكشاف وجود عناصر متآمرة عميلة للاستعمار والرجعية فى صفوف حزب البعث، وأقدام الجناح اليسارى فى الحزب على تصفيتها وتطهير صفوفه منها ، وقبوله بالتعاون مع قوى وحدوية واشتراكية من خارج صفوفه لهو بداية مشجعة للسير فى طريق بناء جبهة وطنية تقدمية تمهد لبناء وتحالف شعبى ينبثق عنه تنظيم واحد لكل القوى الثورية التقدمية .

ان تخلى حزب البعث عن صفة « الحزب القائد » ووضع قواه بحجمها الطبيعى فى مكانها الطبيعى لا يسهل فقط امكانية خلق جبهة وطنية تقدمية ، وانما يساعد أيضا ويشجع على تحويل هذه الجبهة الى تحالف شعبى تذوب فيه وفى حرارة الثقة المتبادلة والكفاح المشترك تدريجيا كل التنظيمات المقفلة والضيقة، وتتفتح بفضله مغاليق الحزبية موسعة الرحاب لقيام اتحاد اشتراكى عربى

ولقيام حزب أو جهاز سياسى قائد لهذا الاتحاد من أكفأ وأخلص وأنضج العناصر الاشتراكية

وبسير سوريا فى هذا الطريق تكون قـــد خلقت كل مقومات الوحدة معها واستفادت من تجارب الماضى وشجعت كل القوى الثـــورية فى الوطن العربى للسير فى هذا الطريق

ان قضية وحدة القوى الثورية قد أخـــــذت تفرض نفسها ليس فى الدول العربية المتحررة فقط ، وانما أيضا فى تلك الدول العربية التى ما تزال قواها الوطنية تكافح من أجل خلق حكم وطنى ديمقراطى متحرر

ان انخراط هذه القـــــوى فى بلد كلبنان ضمن جبهة وطنية تضم الاحزاب والهيئات والشخصيات القوميـــة والوطنية والتقدمية لمثل مبشر باحتمالات قيام مثل هذه الجبهة فى اقطار عربية أخرى كالمغرب والســودان حيث تتوافر شروط موضوعية وذاتية لذلك

***

ان قيام جبهة وطنية فى الاقطار العربية التى قد نشأت فيهـــا أنظمة حزبية تقدمية يبدو وكأنه الشكل الانسب والخطوة الملائمة للدخول فى عمليات تفاعل نفســـية وسياسية وتنظيمية ينبثق عنها على المـــدى القريب أو البعيد تنظيم شعبى موحد أو اتحاد اشتراكى عربى يجمع كل القوى الثورية داخل كل قطر عربى .

أما هناك حيث لم تنشأ بعد نتيجة التخلف والوضع الاقطاعى ـ القبلى المتأخر أحزاب أو تقاليد حزبية كما هو الحال بالنسبة للجمهورية العربية اليمنية فان الشــكل السياسي الملائم والوحيد لتجميع القوى الثورية هـــو

التنظيم الشعبى الواحد وليس الجبهة الوطنيـــة التى تتضمن وجود أحزاب وتنظيمات قائمة

ان قيام مثل هذا التنظيم فى وطننا الجمهـــورى قد حتمته ظروف بلادنا الداخلية ، وحتمته أيضـــا طبيعة المستوى المتقدم الذى وصل اليه النضـــــال فى الوطن العربى وعلى النطاق الدولى

ان التركيب الاقتصادى والاجتماعى فى اليمن لايحتمل قيام نظام حزبى ، ولن يساعد مثل هذا النظـــام لو وجد فرضا على دفع حركة الثورة الى أمام . ان قيام تنظيم سياسى واحد هو الامكانية الوحيدة لحشـــد وتعبئة وتنظيم وقيادة جماهير الشـــعب اليمنى خلف ثورته ومن أجل الحفاظ عليهـــــا ، والســـير بها فى طريق التطور والتقدم . ان التنظيم الشعبى الذى كانت الثورة قد دعت الى انشائه يستجيب لمتطلبات العمل الوطنى الثورى ويســـاعد على اذابة رواسب التعصب العنصرى والطائفى ، ويخلق وحدة وطنية وثورية فى البلاد والتنظيم الشعبى بطبيعة مهمته وكما سبق القول لا يعنى تجميع كل السكان دون تمييز فى صعيد واحد ، فهو لايتسع الا لقوى الشعب الثورية ذات المصلحة فى الثورة، ويستبعد كل القوى القديمة التى تتعارض مصـــالحها الطبقية مع طبيعة مهمته التاريخيـــة . ان طبقة المشايخ الاقطاعيين ورؤســـاء القبائل والعشائر هى من هـــذه القوى القديمة . كذلك فان التنظيم الشعبى لا يســمح ولا ينبغى أن يسمح بتســـلل عملاء الاستعمار والرجعية اليه منعا لتخريبها له من الداخل . ان قوى الشـــعب المدعوة موضوعيا للدخول فى هذا التنظيم ، والثورية بحكم مصالحهم وتطلعاتها وان لم تع ذاتها بعد ، ولم تع دورها

التاريخي والتي ينبغي أن يتشكل منها التركيب العضوي لهذا التنظيم تتمثل في الفـلاحين ، والعمال ، والمثقفين ، والرأسمالية الصـــغيرة . ان الجنـــود الذين ينحدرون أساسا من طبقة الفلاحين يشكلون احدى القوى الثوريه التي ينبغي أن يضمها هذا التنظيم ، وأن اتخذ انتسابها إليه طابعا خاصا . ان مهمة التنظيم الشـعبي التاريخية هي التي تفرض أي الطبقـات والفئات ينبغي أن تنتسب أو تنضم اليه ، وتتمثل هذه المهمة في ضرورة القضـــاء على التركيب الاقتصـــادي والاجتماعي المتخلف ، وفي التغلب على الوضع القبلي الاقطاعي ، وعلى عـــلاقات الاستغلال الانتاجية ذات الطابع الاقطاعي ، وعلى العصبية القبلية والطائفية والعنصرية ، وتبعية القبيلة للشـــيخ ، وعلى العلاقات القبليه والعشائرية المتخلفة وعلى مجمـــل ملامح النظام الاقطاعي ، وتتمثل هذه المهمة أيضا في تحرير الفـلاح من عبوديته للارض ، من تبعيته للاقطاعي ، وفي احـــداث ثورة زراعية ، وفي ادخال وســـائل الزراعة الحديثـــة الى الريف ، في تطبيق الديمقراطية على نطاق الزراعة ، في اجراء اصلاح زراعي ، كذلك تتمثل هـــذه المهمة في تحرير الاقتصاد اليمني والســـوق اليمني من تبعيته للاحتكارات الاستعمارية البريطانية وفي ايجـــاد اقتصاد وطني ناهض مستقل عن طريق اقامة المشـــاريع الزراعية والصناعية بواسطة الدولة من أجل اقامة قطاع عام على نطاق الزراعة والصناعة ، وعن طريق تشـــجيع الرأسمال المحلي ودفعه الى توظيف اســـــتثماراته في مشـــاريع انتاجية ، كما تمتد مهمة التنظيم الى حـــد تعطيل الدور والنشـــاط الذي يقوم به الطاقم الاعلى من البورجوازية التجارية الصغيرة محاولة منها لربط الاقتصاد

اليمنى باستمرار بعجلة الاحتكارات الاستعمارية ، وتتمثل مهمته فى السير باليمن فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى، وفى طريق التطور غير الرأسمالى ، كما انه يواجه مسئوليه الاسهام في النضال الوطني من أجل تحرير الجنوب اليمنى المحتل من سيطرة الاستعمار البريطانى ، ومن أجل تحقيق وحدة الوطن اليمنى ، وكمنظمه وطنيـــة يضطلع التنظيم أيضا بمسئولية الكفاح ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية والرجعيـــــة العربية ويسعى الى التعاون مع التنظيمات الشـعبية العربية من أجل تحقيق أهداف الامة العربية فى الحرية السياسية ، والوحـدة القومية ، والتقدم الاجتماعى

***

ان قيام التنظيمات الشعبية فى كل قطر عربى متحرر، وفى كل قطر عربى على الاطلاق هو فى الواقع خطوة حاسمة فى اتجاه أقامة تنظيم شعبى عربى عام ، أو اتحاد اشتراكى عربى شـــامل يتكون منها جميعا ، ويشكل كل تنظيم منها داخل كل قطر عربى فروعا محلية له ، وان نشــوء أجهزة ســياسية مدربة ومجربة ، واعية وقيادية على رأس كل تنظيم فى كل قطر عربى هو فى الواقع أيضا شرط أولى ومقدمة لازمة لقيام حزب عربى أو جهاز ســياسى مركزى يتولى القيادة العامة للتنظيم الشعبى العربى أو الاتحاد الاشتراكى العربى على النطاق القومى كله

***

ان السير فى هذا الطريق عملية تاريخية ســتواجه الكثير من الصعاب ، ولكن السير فيها قد بدأ بالفعل ، وهى عملية تاريخية تتضافر كل العوامل الذاتيـــة والموضوعية على انضاجها واستكمالها .

فأنتساب كل القوى الثورية العربية الى أمة عربية واحدة ، وايمانها كلها بأهدافها العامة والكبرى فى الحرية والاشتراكية والوحدة ، ونضالها المستمر والواعى من أجل تحقيقها يشكل الشروط الذاتية لهذه العمليه

كذلك فأن حتمية انتصار حركة التحرير الوطنية الديمقراطية على الاستعمار والرجعية والاقطاعيين فى كل قطر عربى ، وحتمية تحقيق الوحدة العربية تعبيراً عن وجود الامة العربية القومى ، وحتمية الحل الاشتراكى على النطاق العربى كله استجابة لحركة التقدم الاجتماعى ولحاجة الجماهير العربية الكادحة الى السعادة والرخاء ، كل ذلك يشكل العوامل الموضوعية للسير فى هذا الاتجاه التاريخى ، اتجاه اقامة تنظيم سياسى شامل وموحد لجماهير الشعب العربى كله تحت قيادة حزب أو جهاز سياسى مركزى ديمقراطى من أجل أقامة مجتمع ودولة عربية موحدة مستقلة ، ناهضة متطورة ، اشتراكية ديمقراطية

***

ويوم يتكامل وجود مثل هذا التنظيم ستقدم الامة العربية للعالم أجمع أنضج وأروع وأوسع تجربة سياسية تنظيمية وديمقراطية لا تؤكد فحسب ميلاد ظاهرة تاريخية جديدة أكثر تفتحا وتطورا على صعيد التنظيم السياسى فى البلدان الحديثة الاستقلال ، وانما ستعبر بذلك أيضا عن مدى المساهمة الاصيلة والعظيمة لهذه البلدان فى دفع حركة التقدم التاريخى والانسانى الى الامام ..

# الوحدة العربية واتفاقية التنسيق المشترك

ان نشوء وتطور الامم عملية اجتماعية تاريخية تحكمها قوانين اجتماعية خاصة ، ولا تشكل مجموعة من السكان أمة واحدة الا بتوافر مقوماتها القومية ، كما أن بروز الامة في شكل ظاهرة تاريخية مكتمله الملامح مرتبط بنضوج هذه المقومات • ان مرحلة النضج هذه مرتبطة هي الاخرى بظهور المجتمع الصناعي ذى السوق الواحدة حيث ترتفع الحواجز الجمركية ، والحدود الاقليمية ، ويمتزج الناس مع بعضهم البعض ، ويحدث النهوض القومي العـــام على انقاض التجزئة الاقطاعية ، والتركيب القبلي الاقطـاعي ، وحيث تبرز ظواهر مصاحبة كالنهوض اللغوى والثقافي ، واليقظة الوطنية ، ويتجلى الطابع القومي الخاص للامـــة والمتمثل فى نفسيتها المشتركة أو فى اقتصادها المشترك أو فيما عدا ذلك من المظاهر

وعملية نشوء وتطور الامة العربية لا تشذ عن هـــذه القاعدة العامة ، فالعرب الذين يسكنون ما بين المحيـــط والخليج نشأت وتطورت مقوماتهم القومية خلال عمليـــة تاريخية طويلة فأصبحت لهم أرض مشتركة ، وتاريـــخ مشترك ، وأمجاد تاريخية مشتركة ، ولغـــة مشتركة ، وثقافة مشتركة ونفسية مشتركة ، وتقاليد مشـــتركة ، واقتصاد يسير نحو التكامل عن طريق السوق العـــربية المشتركة والاتفاقات الاقتصادية المشتركة

ان أبرز مقومات الامة العربية والذى يشكل طابعهـــا القومي الخاص ، ومثار اعتزازها ورابطتها المعنوية الوثيقة هو أمجادهم التاريخية المشتركة

ان هذه الشروط القومية التى نشأت وتطورت تاريخيا

أخذت فى النضوج باقتحام المجتمع العربى مرحلة التصنيع ، وباشتعال حركة التحرير الوطنية العربية ضد الاستعمار والرجعية الاقطاعية المتعاونة معه ، وبالنضال المشترك من أجل القضاء على أنظمة الحكم الاستعمارية الرجعية ، والغاء الحواجز الاقليمية والتجزئة الاقطاعية ، وبانبعاث الفكر الوطنى القومى ، والنهوض اللغوى والثقافى ، وانتشار الوعى الثورى السياسى والاجتماعى · ويمكن متابعة الجذور التاريخية للقومية العربية فى الحقبة التى نشأت فيها دولة عربية كبرى بعد ظهور الاسلام ··

غير أن ظهور حركة الوحدة العربية كاتجاه سياسى يرمى الى توحيد البلدان العربية قد ارتبط بنشوء البورجوازية التجارية الصغيرة فى سورية ولبنان التى كانت تقلقها الحدود المصطنعة التى أقامها الاحتلال العثمانى بين أقطار سورية الكبرى · ولهذا فقد كانت حركة الوحدة العربية منذ بروزها فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر مرتبطة بالنضال ضد السيطرةالاجنبية المتمثلة فى الحكم العثمانى ، ثم فى الحكم الفرنسى ، والانجليزى ، ومستهدفة الحصول على الاستقلال السياسى وتحقيق الوحدة · وقد تطور مدلول الوحدة العربية من هذا التاريخ ، وأصبح لا يعنى وحدة سورية الكبرى ، أو سورية والعراق فقط ، وانما يعنى وحدة الوطن العربى كله من المحيط الى الخليج

ولقد أججت نكبة فلسطين الشعور القومى ، وقوت الاحساس بضرورة الوحدة · وأصبحت قضية الوحدة العربية منذ معركة السويس المحور السياسي الرئيسى الذى يستقطب من حوله كل القضايا السياسية الاخرى فى الوطن العربى ، حيث أن الانتصار العظيم فى معركة

السويس ، وما تلا ذلك من تهديد لسورية من قبل تركيا وحلف الاطلسى قد طرح قضية الوحدة العربية لاول مرة بعنف وقوة كدرع لا بد منه لمواجهة الدول الاستعمارية وربيبتها اسرائيل

وفى مثل هذه الفترة المبكرة نسبيا من ميلاد وظهور قضية الوحدة العربية لم تكن أذهان كل القوى الوطنية قد تمثلت مفهوما لها مجمعا عليه ، وذلك يشكل أحد العوامل فى الصراع السياسى الذى اشتعل بينها • الا أن تجربة الوحدة الثنائية بين مصر وسورية ، ونكبة الانفصال قد قدما ذخيرة خصبة لقضية الوحدة ، وأغنياها بتجربة وخبرة عظيمتين لا تستطيع أن تقدمها ندوات النقاش السياسى ولو طالت عشرات السنين • وكان من أول الناس اهتماما بتلخيص العبرة من هذه التجربة هو الرئيس جمال عبد الناصر حيث عبر عن ذلك فى الميثاق مشيرا الى أنه خلال النضال من أجل الوحدة العربية ستعبر هذه عن نفسها فى أشكال عدة من الوحدة الجزئية الى الوحدة الدستورية الكاملة • ان التطوير الخلاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر لمفهوم الوحدة والذى هو موضع اجماع كل الوطنيين والتقدميين العرب يتمثل فى قوله بأن للوحدة مضمونا سياسيا ومضمونا اجتماعيا ، يتخذ شكل الوحدة السياسية ، والحرية السياسية وتحقيق الاشتراكية لمجتمع عربى موحد

ان ربط حركة التوحيد القومى ربطا مباشرا وعضويا باشاعة الحرية الديمقراطية للقوى الوطنية والشعبية وبالنضال من أجل الاشتراكية فى وقت واحد قد ساعد على ايجاد أرضية فكرية واسعة لوحدة كل القوى الثورية والتقدمية فى الوطن العربى التى يتوقف على وحدتها

تحقيق واقامة المجتمع والدولة العربية الموحدة الديموقراطية الاشتراكية

ففي ظروف العالم الحاضرة لا يمكن أن يكون للوحدة العربية مضمون اقطاعي أو رأسمالى ، أو تحقق بقيادة الاقطاع أو البرجوازية كما حدث مثلا بالنسبة للامم الاوربية التى لم تحقق وحدتها القومية قبل القرن العشرين الا على هذا الاساس

ففي القرن العشرين حيث تتسع الرقعة العالمية للانظمة الاشتراكية ، وتقوض حركة التحرير الوطنى العالمية دعائم الاستعمار ، وتنفصل بلدان كانت مستعمرة من نظام التبعية الامبريالية لتسير فى طريق التطور غير الرأسمالى برزت حركة الوحدة العربية باعتبارها حركة معادية للاستعمار ، والاقطاع ، والنظام الرأسمالى ، فهى لذلك تحمل طابعا وطنيا ديمقراطيا ، وتندمج بحركة التحرر الوطنى العربية ، وبالتيار الاشتراكي وتكون مع هذين الرافدين حركة تاريخية تستهدف اقامة دولة عربية موحدة اشتراكية ديموقراطية

ونتيجة لانتصاراتها الوطنية فى معركة السويس ، ولسبقها فى مضمار تحقيق التغيير والتقدم الاجتماعى عن طريق تحطيم تحالف الاقطاع والرأسمالية ، واقتحام طريق التطور الوطنى الديموقراطى ، والسير عبر مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وضعت الجمهورية العربية المتحدة نفسها فى مركز القيادة لحركة الوحدة العربية

وتشكل اتفاقية القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية خطوة هامة على طريق الوحدة العربية .

وكما تعتبر اتفاقية التنسيق المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية استجابة وتحقيقا لمبدأ قومي فانها تقدم احدى الضمانات الرئيسية والحاسمة لانتقال الثورة اليمنية الى مرحلة التغيير الاجتماعى ، وقلب التركيب الاقتصادي الاجتماعى فى اليمن بطابعه المزدوج الاقطاعى القبلى ، واقامة علاقات انتاجية جديدة تساعد على دفع اليمن فى طريق التطور الوطني الديمقراطى ، وفى طريق التطور غير الرأسمالى

وتقدم اتفاقية التنسيق الاطار القومي الذى يكفل صيانة واستمرار الثورة اليمنية ، وتقدمها على الطريق الوطنى والاجتماعى الذى تسير فيه الثورة العربية

ونظرا لتخلف اليمن الاجتماعى والاقتصادى فان هذه الاتفاقية ستساعد على تعجيل عملية التقدم الاجتماعى والاقتصادى عن طريق الاستفادة من المنجزات والخبرات الثورية التى حققتها الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المضمار

وتسهم الاتفاقية بتطبيقها فى تنمية وانضاج الشروط الموضوعية والذاتية للثورة اليمنية ، وفى توسيع الارضية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تنهض عليها الثورة ، وفى تحريكها بقوة الثورة العربية كلها فى اتجاهها التاريخى المحتوم ، اتجاه التحرر الوطنى ، والحرية الاجتماعية والاشتراكية الديمقراطية

# آفــاق المســتقبل

تعد الثورة اليمنية أحدى الثورات العربية الحـديثة فى القرن العشرين ، بها أطل الشعب اليمني على العالم المعاصر من انصع الافاق ، وبفضلها قفز دفعة واحدة من القرن السادس الميلادى الى النصف الثــانى من القرن العشرين ، وعن طريقها قام بنصيبه بجدارة فى كفـاح التحرير الوطنى الذى يجتاح عالم اليوم فاحتل بذلك مكانة مستحقة بين شعوب العالم الثالث المشتعل بالثورة

واذا كان قد تأخر نشوب الثورة اليمنية بعض الوقت نتيجة لاوضاع اليمن المعقــدة فأنها قد نشبت فى فترة تاريخية حاسمة تتميز بتفوق قوى الثورة والتقدم على قوى الرجعية والاستعمار سواء على النطاق العالمى أو على النطاق العربى

وتكفل هذه الظروف المواتية استمرار الثورة اليمنية وتحقيقها فى فترة قصيرة نقلة اجتماعية وتاريخية فى حياة الشعب اليمنى بالاستفادة من منجزات التقدم من حيث بلغت . وبمقياس التقدم الثورى المعاصر المدعم بالخبرة العلمية والاجتماعية للثورة العربية والشعوب الصـديقة تستطيع الثورة اليمنية أن تقطع فى بضع سنوات مسافات من التطور لم تقطعها غيرها من الشعوب المتخلفة الا خلال عشرات السنين من الحكم الاستعمارى

وبالاعتماد أولا وقبل كل شيء على الشعب ، وباطلاق قواه المبدعة ، وتفجير طاقاته الحيه تستطيع الثورة أن تتقدم الى المستقبل فى ثقة واطمئنان صانعة مجتمعا وطنيا ديمقراطيا ينهض على أنقاض المجتمع الاقطاعى القبلى الذى خلفه العهد البائد ومنطلقة باليمن فى ركب التحرر العربى ، وفى مضمار الحرية والاشتراكية والوحدة ••



# فهرس

## الباب الثانى

# كتب هلال صدرت سنة ١٩٦٥ و ١٩٦٦

| رقم الكتاب | | |
|---|---|---|
| ١٦٦ | محمد رسول الحرية | : عبد الرحمن الشرقاوى |
| ١٦٧ | البحث عن شيكسبير | : د. لويس عوض |
| ١٦٨ | اسرائيليات | : أحمد بهاء الدين |
| ١٦٩ | حقائق الاسلام وأباطيل خصومه | : عباس محمود العقاد |
| ١٧٠ | مختارات من برنارد شو فى النقد والسياسة | : د. عمر مكاوى |
| ١٧١ | أساطير الحب والجمال عند الاغريق | : درينى خشبة |
| ١٧٢ | عشرة أدباء يتحدثون | : فؤاد دوارة |
| ١٧٣ ١٧٤ | مذكرات شارلى شابلن ج١ ، ج٢ | : صلاح حافظ |
| ١٧٥ | كتابات لم تنشر | : د. محمد مندور |
| ١٧٦ | ثورة الزنوج فى أمريكا | : د. عبد الملك عودة |
| ١٧٧ | معارك فكرية | : محمود أمين العالم |
| ١٧٨ | أبو ذر الغفارى | : عبد الحميد جودة السحار |
| ١٧٩ | دليل المتفرج الذكى الى المسرح | : ألفريد فرج |

| رقـــم الكتاب | | |
|---|---|---|
| ١٨٠ | رسائل نهرو الى انديرا | : أحمـــد بهـــاء الـــدين |
| ١٨١ | على هامش الغفران | : د. لويس عـــــــوض |
| ١٨٢ | أول ثورة على الاقطاع | : محمـــد العـــزب موسى |
| ١٨٣ | الاشتراكية والفن | : أســـــعد حــــليم |
| ١٨٤ | الجبرتى وكفاح الشعب | : محمـــود الشرقــاوى |
| ١٨٥ | دراسات فى الحب | : يوســــف الشــارونى |
| ١٨٦ | الغناء المصرى | : كمــــال النــــجمى |
| ١٨٧ | علم النفس فى الفن والحياة | : د. يوســـف مـــراد |

كتاب الهلال القادم :

# ما يقال عن الاسلام

بقلم
عباس محمود العقاد

يصدر فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٦

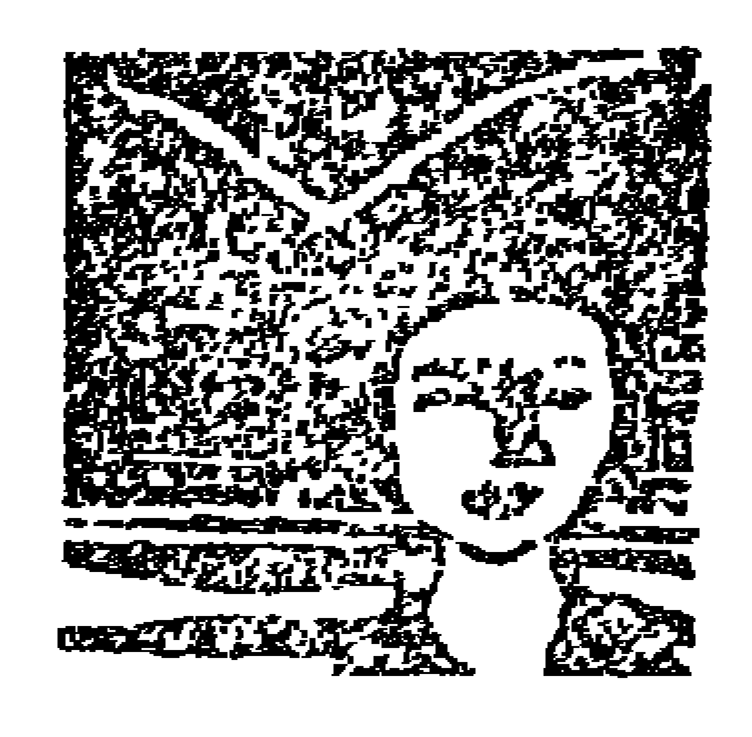
## وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد ـ ص : ب ٢٤

انجلترا : ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7. Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

سنغافورة : Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit
Al Maktab Atrijari Assharat
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

البرازيل : Mr. Miguel Maccul Cury,
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo, BRAZIL



اول كتاب علمي مبسط عن الثوره اليمنيه . يعرض بطريقة شيقه ، للمقدمات التاريخية للثورة ، ويحلل الطبيعه الاجتماعيه الخاصه للمجتمع اليمني ، ويتناول بجرأة وحرارة المشاكل السياسية والاجتماعيه والاقتصادية ، التي تواجه الثوره اليمنيه ويقترح لها حلولا ملائمة ، وينتهي الى تقديم خطه عمل سياسي وتنظيمي لها ، لتحقيق اهداف الشعب اليمني في اطار الاهداف والمبادىء العامة للثورة العربية الشاملة

والدكتور محمد علي الشهاري مؤلف الكتاب مفكر يمني ثائر ، عاش احداث الثورة ، وشارك فيها ، فجاء كتابه هذا خلاصة صادقة لتجربته الحية ..